بسم الله الرحمن الرحيم

صدى الحوراء

السنة ٣

صدى الحوراء
السنة ٣

قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الفكر والإبداع

العنوان: صدى الحوراء -عليها السلام-.
النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة - قسم الشّؤون الفكرية والثَّقافية.
الإعداد والتَّحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع - وحدة الإصدارات.
التَّصميم: حسين شمران - حسين عقيل - ميثم القرعاوي.
الطَّبعة: الأولى.
عدد النّسخ: ١٠٠٠
شهر رجب الأصب: ١٤٣٦هـ.
حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة.

المحتويات

رائدة المعرفة ١١

السيدة زينب عليها السلام والمشهد التوحيدي ١٩

مواقف ومعارف ٢٩

من مظلومية المعصومين وذويهم (عليهم السلام) ٤١

الدّور الإعلامي للسّيّدة زينب -عليها السلام- ٥٩

دور السّيدة زينب-عليها السلام- في كربلاء ٦٩

الجانب البلاغي في خطابات السّيّدة زينب-عليها السلام ٧٩

زيارة السيد زينب -عليها السلام- ٩٧

خواطر الثناء على بطلة كربلاء ١٠٣

الافتتاحية

نور اقترن بنور، فأنجب أنواراً بهية.. ضوء امتزج بضوء، فأنتج أضواءً قدسية.. شمس أضاءت لبدر، فأعطت رونقاً إلهياً.. ما أعظمها من نعمة.. وأجلها من رحمة..

أمير المؤمنين علي -عليه السلام-.. يقترن بسيدة النّساء فاطمة الزّهراء -عليها السلام-.. فيعطيان للكون أئمة وسادة: حسناً وحسيناً ومحسناً .. وزينب وأم كلثوم.. -عليهم السلام-.

شجرة طيّبة.. أعطت أكلها كلَّ حين بإذن ربّها.. زيتونة مباركة.. زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار.. بل نور على نور.. ويهدي الله لتلك الأنوار من يشاء الهداية..

دوحة عطاء .. وارفة الظّلال.. نديّة الأغصان.. ناعمة الأوراق.. طيّبة الأريج.. رقراقة المياه.. عذبة الطّعم.. عظيمة النّعم.. تبارك الخلاق

ما أعظمه ..!

من تلك الدّوحة المباركة.. من ذاك البيت الطّاهر المطهّر.. من بيت الرّسالة المحمّديّة الشّريفة.. خرجت إلى الدّنيا.. فتاة ليس لها شبيه أو نظير.. عدا أمّها الزّهراء العظيمة.. -عليهما صلوات ربّنا-.

إنّها السّيّدة المثاليّة في التّضحية والفداء.. إنّها السّيّدة النّموذجية في الصّبر والاستقامة.. إنّها السّيّدة العظيمة في علوّ همّتها، وسموّ فكرها، وشموخ علمها.. إنّها المرأة المثاليّة في قوّة منطقها ورزانة عقلها.. إنّها المرأة السّامية في جميع مواقفها البطوليّة بحيث تصاغر أمام شموخها وصبرها وتجلدها ومقامها جميع جبابرة عصرها رغم ما كانوا يمتلكون من غطرسة وعنفوان.

نعم ..

إنّها زينب وما أدراك ما زينب.. زينب البطلة الشّجاعة.. زينب المجاهدة المضحّية.. زينب العالمة العابدة.. زينب العالمة غير المعلّمة

والواجب على المسلمين قاطبة أن يعرفوا قدرها العظيم.. ويكرموا شأنها الغالي.. ويكنّوا المحبة والمودّة لها ولأمّها وأبيها وأخوتها الكرام..

وعليهم أن يقتبسوا من ضياء فكرها.. وينهلوا من نمير علمها.. فهي العالمة غير المعلّمة.. والفهمة غير المفهّمة.. بشهادة طيّبة مباركة صادقة من ابن أخيها الإمام علي بن الحسين زين العابدين -عليه السلام- .

ومن هذا المنطلق .. الواجب..

ومن أريج ذكرها الزّاكي.. ومن ضياء نورها الزّاهر وإشعاعات من فيوضها القدسيّة لتكون السيدة زينب -عليها السلام- شعلة تضيء لنا الدّرب إلى اليوم الموعود بظهور الإمام الحجة -عجل الله تعالى فرجه الشريف-.

رائدة المعرفة

الشيخ عبدالله اليوسف / باحث إسلامي

بالعلم ميَّز الله الإنسان على سائر المخلوقات حتى الملائكة: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)(١).

وبالعلم يتمايز بنو آدم فيما بينهم: (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُون) (٢) (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُون خَبِيرٌ) (٣).

و"**العلم رأس الخير كله**" كما يقول الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله-(٤).

أو كما يقول الإمام علي -عليه السلام-: "**قيمة كل امرئ ما يحسنه**" (٥).

فالعلم ساحة سباق وتنافس بين أبناء البشر يتقدم فيها من حاز منه بنصيب أوفر.

والمرأة كإنسانة معنية بهذا السّباق في ميدان العلم، ولها حضورها في الساحة، وقيمتها كالرجل تتحدد بما تحسنه من العلم والمعرفة.

لذلك قال رسول الله -صلى الله عليه وآله-: " **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** ")(٦).

وقد اهتمّت السّيّدة زينب بتلقّي العلم والمعرفة منذ نعومة أظفارها وفي وقت مبكّر من حياتها، فإنّها روت عن أمّها فاطمة الزهراء-عليها السلام- .

وقال الطبرسي: أنّها روت أخباراً كثيرة عن أمّها الزّهراء. بالطّبع كان عمرها عند وفاة أمّها السّادسة.

وفي طليعة ما روت عن أمّها الزّهراء-عليها السلام- خطبتها العظيمة في الاحتجاج على أبي بكر حول منطقة فدك التي كانت تحت يد الزّهراء-عليها السلام- فصادرها وضمّها الى بيت المال.. وخطبة الزّهراء هذه طويلة مفصّلة تتضمّن زيادة على موضوعها الأساس حول فدك الكثير من المفاهيم والتّعاليم الإسلامية، وكل أسانيد هذه الخطبة تنتهي الى السّيّدة زينب-عليها السلام- فهي التي حفظت خطبة أمّها، وانتقلت عبرها الى الأجيال.

وقد أشار ابن أبي الحديد المعتزلي الى أسانيد الخطبة المنتهية كلّها الى السّيّدة زينب-عليها السلام- نقلاً عن أبي بكر الجوهري، والذي وصفه بقوله. عالم محدث، كثير الأدب، ثقة ورع، أثنى عليه المحدثون، ورووا عنه مصنّفاته .

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني لخطبة الزّهراء-عليها السلام- سنداً آخر عن ابن عباس بروايته عن السّيّدة زينب-عليها السلام- قال: والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة في فدك، فقال: " حدّثتني عقيلتنا زينب بنت علي " .

وكما روت عن أمّها الزّهراء-عليها السلام-، فقد روت أيضاً عن أبيها علي-عليه السلام-، وعن أخويها الحسنين-عليهما السلام- .

وروت أيضاً عن فضليات نساء عصرها كأم أيمن مولاة النبي وحاضنته، وأم سلمة زوج رسول الله-صلى الله عليه وآله-، وأم هاني بنت أبي طالب ، وأسماء بنت عميس أم عبدالله بن جعفر .

ولم تختزن السّيّدة زينب-عليها السلام- العلم لنفسها أو تحتكره لذاتها بل أفاضت من معارفها ومروياتها على أبناء الأمّة، فكانت تتحدّث ليس فقط للنّساء بل حدّثت العديد من رجالات بيتها وسائر الأصحاب والتّابعين.. فقد روى عنها جابر، وعباد العامري ، وابن أخيها علي بن الحسين زين العابدين-عليه السلام-، وروى عنها عبدالله بن عباس ، وزوجها عبدالله بن جعفر ، وروى عنها محمد بن عمرو الهاشمي، وعطاء بن السائب، وروى عنها أحمد بن محمد بن جابر، وزيد بن علي بن الحسين .

وروت عنها بنت أخيها فاطمة بنت الحسين، وقد مرّ علينا سابقاً أنّها كانت مهتمّة بتعليم النّساء وتثقيفهن ضمن مجالسها العلمية.

ويكفي لإدراك مقام زينب الرّيادي في ميدان المعرفة والعلم أن نتأمّل ما رواه الصّدوق محمد بن بابويه طاب ثراه من أنّه كانت لزينب-عليها السلام- نيابة خاصّة عن الإمام الحسين -عليه السلام- بعد شهادته، وكان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام

حتى برئ زين العابدين-عليها السلام- .

كما أنّ شهادة الإمام زين العابدين-عليها السلام- في حقّها لم تكن جزافاً ولا مبالغة وهو الإمام المعصوم حيث قال لها: " **أنت بحمد الله عالمة غير معلّمة وفهمة غير مفهّمة** " (٧).

الهوامش:

١- سورة البقرة: الآية/ ٣١.

٢- سورة الزّمر: الآية/ ٩.

٣- سورة المجادلة: الآية/ ١١.

٤ـ بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ / ج ٧٤/ ص١٧٥.

٥- ميزان الحكمة / محمد الري شهري/ قم: دار الحديث/ ١٤١٦ هـ. ق/ التحقيق: دار الحديث/ الناشر: دار الحديث/ المطبعة: دار الحديث/ ج١/ ص٥٧.

٦- المجلسي/ المصدر السابق / ج ٢ / ص ٣٢ .

٧- المصدر نفسه/ ج ٤٥ / ص ١٦٤.

سلام

لأم على قلب النبي الصبور

السلام عليك يازينب الكبرى

السيدة زينب عليها السلام والمشهد التوحيدي

محاضرة لسماحة الشيخ محمد السند

تقرير : صباح الصافي

حينما سُئلت العقيلة زينب -سلام الله عليها- من قبل اللعين ابن زياد ابن مرجانة: **(كيف رأيتِ صنع الله في أخيك ؟ قالت: ما رأيت إلا جميلاً)**(١).

مع أنّها قبل هذا الكلام في مجلس ابن زياد، أو في خطبتها في الكوفة كم كانت تقرع وتندد من فعل الظّالمين بأشدّ تقريع واستنكار .

هذا المبحث أو هذه المعادلة تتصف بالتعقيد والصعوبة والدقة والإبهام بصراحة حتى على كبار العرفاء إلى يومنا هذا، وحتّى من الخاصّة، ولكنه في نفس الوقت مبحث يحل قضية معقدة تفتح آفاقاً واسعة من المعارف.

إنَّ مشهد الشّهادة لسيّد الشّهداء ـ عليه السلام-هل يمثِّل مشهد فرح وسرور أو هناك حزن وغمّ ؟

هكذا يعبّر البعض عن هذا المشهد ـ يوم الميلاد ـ ميلاد النّور، ميلاد ظفر سيّد الشّهداء -سلام الله عليه- فبهجة وسرور، أو حزن وغمّ ؟

هل هذا المشهد مشهد بركات، أو نقمات ؟

هناك لغط عرفاني علمي معرفي وفلسفي شديد إلى يومنا هذا، ولقد اختلط الأمر على كثيرين، بينما في جوابها -عليها السلام- جعلت حدّاً فاصلاً دقيقاً بين الجهة الجماليّة وهي منسوبة إلى فعل الله-سبحانه-، وبين الجهة الشرّانيّة الظلمانيّة المنفورة الممقوتة المنسوبة إلى فعل الأشرار والظّالمين .

وقد وازنت -سلام الله عليها- بين ذي الجنبتين، جنبة جمالية يمثِّل قضاء الله-تعالى- وقدره في تمام الأبعاد وتمام التّقادير، وأنَّ كلَّ ما يفعله الله جميل، لكن في منطقها أنّ عموميّة جماليّة ما يقضي الله به من قضاء وقدر لا يعني في حال من الأحوال عدم سوءة وسوء وقباحة وقبح ما يفعله الظّالمون والأشرار.

فلا هذه الصّفحة تدخل على تلك الصّفحة، ولا تلك الصفحة تدخل على هذه الصّفحة .

إنّ أحد الأمور الشّائكة على العرفاء وعليهم أن يتخلّصوا من شراكها (هي قضيّة الجبر والتفويض)، لأنّ النّجاة من قضيّة الجبر والتّفويض صعب جدّاً عليهم، فهذا الأمر ليس بالسّهل ولا بالهيّن.

عقيلة حيدرة تأتي وتقول لتضع هذا الميزان العظيم مبيّنة أنّ وجود هاتين النّسبتين: نسبة الحدث إلى الله -تعالى- وأنّ الأمور ليست مفوّضة إلى البشر، نعم هذا الحدث الذي لازال زلزالاً في التاريخ وفي الأمّة الإسلامية ولازال محكّاً وميزاناً فيه صفحة ونسبة جمالية منسوبة إلى الله-سبحانه- بديعة عظيمة، ظفر وسرور وبهجة(**ما رأيت إلّا جميلاً**)، فالإنسان عندما يرى الجميل يُسر ويبهج ويستقرّ ويطمئن، هذا صحيح .

ولكن مع ذلك تقول -عليها السلام-: هذه الصّفحة لا تغيّب صفحة أخرى، يجب التبرّي منها، صفحة شنآن وقباحة وسوءة وسوء ما قام به الظّالمون .

كل الماكرين والجائرين لا يفعلون إلّا وفي تقدير الله وتدبيره يصبّ في غايات عظيمة عند الله، (ما رأيت إلا جميلاً) ماذا تعني ؟ يعني أنّ الغاية الإلهيّة والهدف الإلهي لم يزعزع الظّالمون منها قيد شعرة، لم يستطيعوا أن يحبطوا المشروع الإلهي قيد شعرة، (**إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**)(٢).

فكون الهدف الإلهي لم ينخرم، ولم يتزلزل التولّي (صفحة التولّي) أي قضاء الله-تعالى- وقدره، هذا لا يعني عدم التّبرّي من فعل الظّالمين .

الخطأ عند النّهج العرفاني المعهود الآن في المدارس العرفانيّة أنّه لم ينخرم من الغرض الإلهي شيء، لماذا نحن نجزع ونتبرّم من فعل الظّالمين، فهذا التّساؤل غريب، لماذا هذا التبرّي من فعل الظّالمين؟

لماذا يعترضون هذا الاعتراض؟

يقولون كأنّ هذا الاعتراض على قضاء الله وقدره؟

لاحظوا هذا الخلط الموجود عندهم، ففي منطقهم أنّ إدانة الظّالمين ينسحب على الجزع

يعني التبرّم، فالتبرّم يعني الجزع وهو ما نجزع من فعل الظّالمين، نبكي على الحسين نجزع على سيّد الشهداء، هم في منطقهم يعني أنّنا نجزع على مقادير الله -تعالى-، مع أنّ مقادير الله جميلة، فكأنّما اعتراض على الله ـ هكذا هم يتخيّلون ـ.

طبعاً في هذا المنطق إنّ الجزع والبكاء على سيّد الشّهداء-عليه السلام- أو على استشهاد أمير المؤمنين-عليه السلام-، أو على مصائب أهل البيت-عليهم السلام-، أو على ما فعله شمر بن ذي الجوشن، أو على عمر بن سعد، أو يزيد بن معاوية، أو يوم حرق باب فاطمة-عليها السلام- أو.. أو.. هذا اعتراض على مقادير الله-تعالى-.

طبعاً هذا المنطق في هذه الفكرة، فيه مغالطات عديدة؛ لأنّه عندما يدين مَنْ يدين، يقول: عندك إدانة يعني؟ أتدين؟ ولماذا -تديننا أليس عندك العاملين بالسوء ضمن مقادير الله، فنحن ضمن مقادير الله- ؟

هل التفتّم إلى النّقض أو لا ؟ يقول: لا تداين أحداً؟

لا تستنكر على أحد بمنطق أن كل ذلك بمقادير الله-تعالى- ؟

وهذا هو الجبر ـ طبعاً ـ، لاحظوا المسألة التي نقّحتها العقيلة، وأفصحت عنها، مسألة تزلزت فيها الكبار ـ كبار العارفين والباحثين فليست مقولة العقيلة مقولة سهلة، بل مقولة غائرة في العلم جدّاً، نقول لهذا القائل عندما تقول: لماذا تدين مَنْ أتى بالسّوء؟ أولست تقول: كلّ من يأتي بالسّوء لا يُدان، فلماذا أنت تديننا حينما نلعن أعداء الله؟

هو يقول: لا تلعن، لا تتبرّء، لا تكره، ثقافة الكراهيّة مُدانة، أولست أنت تقول: مَنْ يأتي بالقبائح لا يُدان، فنحن نأتي بقبائح فمن ضمن مقادير الله ؟

فباؤك تجرّ هنا، ولا تجرّ هناك ؟

بأيّ منطق ؟

هل التفتم ـ الجدل الديالكتيكي التّضادّي المتناقض ـ عجيب...

إذا وصلت إلى شمر بن ذي الجوشن، وعمر بن سعد، ويزيد بن معاوية، وأصحاب

السقيفة، وفرعون ونمرود، خطأ الإدانة، فثقافة الكراهية خطأ.

ولكن إذا وصلت إلينا نحن نكره أولئك، لا، بل يجب أن نُدان ونُحاسب!؟.

تناقض عجيب !

لاحظوا أنهم حتّى في موازينهم ـ التي يدّعون أنّها عرفانيّة ـ تناقض واضح . هذا النقض الأول.

ثانياً: أوليس القرآن يعلّمنا على طول التاريخ إدانة فرعون وإبليس ونمرود والقتلة لأصحاب الأخدود، وقابيل، لماذا يعلّم القرآن على ثقافة الكراهيّة ؟

فالقرآن ـ أيضاً ـ فيه صفحتان:

(١) صفحة جماليّة فعل الله-سبحانه- .

(٢) وصفحة التّبرّم والنّفرة والإدانة والكراهيّة لأصحاب السّوء والأشرار.

صفحتان نراهما في القرآن: صفحة جمالية، وصفحة جلاليّة. جلال الله-تعالى-، جنّة وجهنّم كلتا الصّفحتين موجودتان، فكيف أنتم تريدون صفحة واحدة في بسيطة الوجود، فكلتا الصفحتين موجودتان؟

ثالثاً: هم لم يميّزوا في هذه المقولة بأنّ ما هو فعل الله ـ الذي ركّز عليه بيان العقيلة -عليها السلام-وركّز عليه بيان الإمام زين العابدين-عليه السلام-، وفعل العباد شيء آخر، هذه المعضلة التي هم إلى الآن لم يستوعبوها.

بعبارة أخرى ما هو فعل الله-تعالى- ؟

فعل الله هو حتّى في أحداث الظالمين موجود، ولكنّه جميل، هو يسير ضمن الخطّة والبرمجة والتّخطيط والجدولة والمسيرة الإلهيّة، وهذا ما نقبله طبعاً ، فلا يحدث حدث في الكون إلاّ ويقيّضه الله للهدف العظيم الإلهي، وهذا شيء طبيعي (**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**)(٣).

ولكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن ليس للظالمين فعل، وسوء، فالخلط بين

هاتين الورقتين فلسفيّاً وكلاميّاً وعرفانيّاً طامّة كبرى هنا، ثم لهذا الأمر تداعيات فيما بعد، فإذا كنّا نمتدح فعل الظّالمين، هل سنؤمن بيوم الدّين يوم المساءلة والمحاسبة؟ .

هذه المقولة ستؤدّي إلى إنكار أنّ هناك حساب ويوم حساب، وأنّ هناك ميزان، فلا ميزان ولا حسابَ ولا ديّان يوم الدّين، فمُدان ومدين ومُدان له لا وجود لهم، بينما لاحظوا -سلام الله عليها- كيف تربط المسلمين والمؤمنين وتربط أكبر حدث في عالم الإسلام بيوم الدّين (ما رأيت ـ فعل الله ـ إلاّ جميلا).

فعل أولئك: تقرّع بهم: **" أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدّني والشّريف، ليس معهنّ من رجالهنّ ولي، ولا من حماتهنّ حمي ؟ وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشّهداء ؟ وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشّنف والشّنآن، والإحن والأضغان ؟ ثم تقول غير متأثّم ولا مستعظم: لأهلوا واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لاتشل منتحيا على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك ؟ وقد نكأت القرحة واستأصلت الشّأفة"**(٤) ثم تنزل عليهم نزولاً هادراً.

نفس هذين الوجهين إقامة يوم الدّين، وهذا يعني ميزان يوم الدّين، هذا معنى (لا جبر) لذلك تداينهم، (ولا تفويض) يعني ليس لدينا منطق إياس (يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (ما رأيت إلاّ جميلا)، هذا حينئذٍ يجعل قلب زينب بين الخوف والرّجاء، وبين التّبرّي من فعل الظّالمين، وبين الرّجاء للأمل الإلهي.

العجيب في مدرسة أهل البيت-عليهم السلام- والقرآن الكريم أنّ سبب رقي أهل البيت ـ يعني النّبي وآله صلوات الله عليهم ـ إلى فوقية فوق الملائكة المقرّبين، وفوق الأنبياء المرسلين، وفوق .. وفوق كلِّ مقرّب ومصطفى سببه:(أنّ الله روّض قلوب

أهل البيت بخوف ورجاء)، بدرجة عظيمة من الخوف والرجاء، تلك الدرجة ليست في قلب أيّ أحد.

هذه هي الموازنة بين (الجلال والجمال)، وبين (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين) هذه كلّها تتنزّل ـ طبعاً كما سيأتي في أبحاث المعارف اللاحقة، وستأتي كلها مفصّلاً كاملة كيف الارتباط بين بعضها البعض، بين الجمال الإلهي وبين الجنّة والتولّي وبين الجلال الإلهي والقهر وجهنّم والتبرّي، كل هذه تنزّلات عقلية منطقيّة مع بعضها البعض ـ هذا الذي يوجب طيران الإنسان إلى المعالي، أمّا أن تخبط فعل الله بفعل البشر، وفعل البشر بفعل الله-تعالى-، ونخبط الشر بالخير والخير بالشرّ، وهلم جرّا، هذا كفر بأسماء الله، وإنْ كنّا نحن لسنا بصدد التّكفير، بل أقصد كفراً علمياً، وليس كفراً فقهيّاً، فهذا جحود وجهل بمقامات الأسماء الإلهيّة، يعني أعرف بعض الأسماء الإلهيّة ولا أعرف البعض الآخر، كما أنّ الله رحيم ودود و.. وأيضاً الله جبّار وشديد العقاب وسريع الحساب، وإلاّ لكانت هذه الأسماء كاذبة، أعوذ بالله، فهذه الأسماء حقيقة، وتداعياتها كلّها حقيقة .

إذن: لا يكون في منطق العقيلة ومنطق زين العابدين -صلوات الله عليهما- الموحدُ موحّداً حتى يؤمن بجميع هذه الأسماء ولوازمها وتداعياتها، ولا يخلط بين دولة ودولة أخرى، دولة أسماء معيّنة ودولة أسماء أخرى.

بالنسبة لفعل الله (ما رأيت إلا جميلا) وبالنسبة لفعل البشر: انظر إلى تقريعاتها كم هو تقريع شديد، أبْكت كل عدو وصديق .

فالجزع على الكُمّلِ انجذاب إلى الكمال، فكما في قول أمير المؤمنين -سلام الله عليه- **عند وقوفه على قبر رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم-: " إنّ الصبر لجميل إلاّ عنك، وإنّ الجزع لقبيح إلاّ عليك.."(٥)**؛ لأنّ الجزع هو عبارة عن الانجذاب إلى النبي-صلى الله عليه وآله-، والجزع على الإمام الحسين-عليه السلام- هو انجذاب إلى الحسين

وجماليته ونوره، أمّا أنا أخسر سيّد الشهداء ولا أجزع يعني عدم الانجذاب إلى نور الحسين وقدوة الحسين وأنموذجية الحسين وأمثولة الحسين-صلوات الله عليه- .

أنتم الآن -بالله عليكم- احصوا بيانات منظمة الأمم المتحدة، هل بيانات الإدانة أكثر أو بيانات التضامن التي تصدر من الأمم أكثر؟

صدّقوني ستجدون بيانات الإدانة أكثر بأضعاف من بيانات التّضامن؟

والأمر واضح، فالتبرّي مهم، وهذا التفسير الآخر: تصفية ثم تحلية، فلا بُدّ من تصفية الكدورات وهذا المنطق منطق قرآني، يرجع إلى عدم الجبر، والعرفاء ـ ولا أقول كلّهم بل أقول أكثرهم إنْ لم أقل جلّهم ـ لم يستطيعوا ـ وحقّهم ألاّ يستطيعوا ونعذرهم؛ لأنّهم ليسوا معصومين ـ أن ينجوا من مسألة الجبر .

وبعبارة أخرى هناك ركنان لم يستطيعوا أن ينجوا منهما:

الأول: كيف يصوّرون هناك موجود غير الله-تعالى- في حين أنّه فقير إلى الله (مسألة الوحدة الشّخصيّة) فلم يستطيعوا أن ينجوا منها بصراحة، كما بيّنها الوحي القرآني والوحي المعصومي.

مسألة أخرى عويصة وقعوا فيها هي (الجبر في الأفعال).

لذلك هذا الجواب وهذه المقولة من العقيلة-عليها السلام- أجيال من العلماء أتوا بعد العقيلة إلى يومنا هذا، ولم يستطيعوا أن يهضموا هذا المنطق عند العقيلة.

صفحتان لا تشتبكان (ما رأيت إلَّا جميلا) في حين أنها تقرع الظّالمين في فعلهم، وفي واقعة واحدة ترى منظرين -عليها السلام- لا منظراً واحداً .

هم يرون بعين واحدة، ولا يرون بعينين .

هذا سرّ عظيم معرفي في جواب العقيلة-عليها السلام-، وصلى الله على محمد وآله الطّاهرين .

الهوامش:

(١). بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ٤٥ / ص ١١٦.

(٢). سورة الطلاق/ ٣

(٣). (٣). سورة الأنفال/ ٣٠

(٤). المجلسي/ المصدر السابق / ج ٤٥ / ص ١٣٤.

(٥) ميزان الحكمة / محمد الري شهري/ قم: دار الحديث/ ١٤١٦ هـ. ق/ التحقيق: دار الحديث/ الناشر: دار الحديث/ المطبعة: دار الحديث/ ج ٢/ ص ٣٨٠.

مواقف ومعارف

الشيخ أحمد كاظم / خطيب حسيني

لقد أشبهت العقيلة زينب -عليها السلام- في احتجاجها على يزيد وابن زياد احتجاج أمّها فاطمة الزّهراء -عليها السلام- في قصّة فدك، وقضيّة خلافة بعلها أمير المؤمنين-عليه السلام- حيث بانَ بذلك كبير فضلها، وغزارة علمها، ووفور عقلها، وكثرة فهمها، وحسن معرفتها بالأحكام والقرآن، مما لم يتسنَ لأحد إلّا لمن هو ملهم من عند الله -تعالى-.

ونابت -عليها السلام- أمّها فاطمة الزّهراء -عليها السلام- في مهمّة الإبقاء، وقامت مقامها ـ وبأحسن وجه ـ لأداء دور المشاركة في هذه المهمّة، ويشهد لذلك مواقفها البطوليّة المشرّفة من بدء قيام أخيها الإمام الحسين-عليه السلام- بأعباء الإمامة حتى شهادته -عليه السلام- وخاصة من بدء نهضته -عليه السلام- حتى انتهاء قضايا السّبي والأسر، والرّجوع ببقايا حرم رسول الله -صلى الله عليه وآله- الى المدينة، ومنها حتى ارتحالها من هذه الدّنيا الى الدّار الآخرة.

ففي كل هذه المدّة الطّويلة والفترة العصيبة قامت السّيّدة زينب -عليها السلام- مقام أمّها فاطمة الزّهراء -عليها السلام- في دور المشاركة ونابت عنها في مهمّة الإبقاء وقدّمت في سبيل ذلك كلّ ما قدّمته، حتى لقّبت بكونها: نائبة الزّهراء -عليها السلام-.

فكما أنّ الأمّ شاركت زوجها وإمامها الإمام أمير المؤمنين-عليه السلام- في مهمّة الإبقاء، وقدّمت نفسها ضحيّة، ومُحسنها قرباناً، ليبقى الإسلام على نزاهته وقدسيّته، وطهارته وبراءته مما ارتكبه المتقمّصون للخلافة، ومما فعله الغاصبون لفدك باسم الإسلام.

فكذلك العقيلة شاركت أخاها وإمامها الإمام الحسين -عليه السلام- في مهمّة الإبقاء، وقدّمت ما قدّمت لتصون نزاهة الإسلام، وتحفظ قدسيته وطهارته مما ارتكبه الطّلقاء وأبناء الطّلقاء من تشويه وتمويه، وجرائم وجنايات ضد الإسلام، باسم الإسلام.

ولكن هذه المرّة كان القربان هو الإمام الحسين -عليه السلام- وزينب -عليها السلام- شاطرته بتقديم نفسها أسيرة، ودم ولديها وقاءاً، وراحت في موكب السّبي من كربلاء الى الكوفة ومنها الى الشام لتبلّغ دم الشّهيد حتى في قصور الظّالمين، وتوصل أهداف الشّهادة الى العالم أجمع، والى كلّ الأجيال على مدى التاريخ ومرّ العصور والزّمان.

ولولا مشاطرتها وتحمّلها في سبيل الله-تعالى- ما تحمّلته من البلايا والرّزايا، والمصائب والمحن لأبطل بنو أمية دم الإمام الحسين-عليه السلام- ومحوا أثره، ولاستطاعوا بعد ذلك من اجتثاث جذور الإسلام والقضاء عليه بالمرّة، إذ ورثة المتقمّصين للخلافة الطّلقاء، وأبناء الطّلقاء كانوا قد عرّفوا أنفسهم ـ كذباً وزوراً ـ بأنّهم أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم، وصوروا بأنّ جرائمهم وجناياتهم هو انعكاس عن الإسلام الصّحيح، وكان بيدهم السّيف والسّوط، والدّعاية والتّبليغ وقد سخّروها جميعاً لتثبيت سلطانهم، فكانوا بسوطهم وسيفهم يقمعون الأحرار، وبدعاياتهم وإعلامهم يضلّلون الجماهير، فلم يكن أحد من الناس يجرأ على مناجزتهم ومجابهتهم، وكشف زيفهم وزيغهم، وبيان كذبهم وغدرهم، والتّنديد باستبدادهم ودكتاتوريّتهم، وفضح تآمرهم على الله ورسوله، وعدائهم للإسلام والمسلمين، سوى الإمام الحسين-عليه السلام-، وذلك بأغلى ثمن وحتى بمثل سبي حرم رسول الله وأهل بيته -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، ووطّنت السّيدة زينب -عليها السلام- نفسها على كل ذلك وتلقّته بصدر رحب وبوجه منبسط، وشاطرت أخاها الإمام الحسين-عليه السلام- في البقاء على الإسلام وطهارته ونزاهته، وأبلغت صوته -عليه السلام- الى مسامع التاريخ وفي أذهان الأجيال حيث قال الشّاعر عن لسان الإمام -عليه السلام-:

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيــوف خذيني

ثم إنّ السيدة زينب -عليها السلام- مع علمها بما يجري عليها وعلى موكب كربلاء

من بلايا ورزايا في هذه الرّحلة، شاركت أخاها الإمام الحسين-عليه السلام- في سفره هذا مشاطرة له همومه، وهي مسرورة على أنّها في خدمة أخيها وإمامها، ومبتهجة بذلك، وكانت للسيدة زينب -عليها السلام- في المنازل التي مروا بها في الطّريق وكذلك في كربلاء مواقف أخوية صادقة، وقضايا شجاعة وهامّة، ومصائب عظيمة ومؤلمة منها:

إنّها -عليها السلام- قدّمت ولديها: محمداً وعوناً وألبستهما لباس الحرب، وأمرتهما بنصرة أخيها الإمام الحسين -عليه السلام- ومجاهدة أعدائه وتفدية أنفسهما من أجله، فتقدّم بين يدي الإمام الحسين-عليه السلام- أوّلاً محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب -عليه السلام- وأخذ يقاتل وهو يرتجز ويقول:

نشكو الى الله من العـدوان قتال قوم في الورى عميان
قد تركوا معالـم القــرآن ومحــكم التّنزيل والتبيـان
وأظهروا الكفر مع الطغيان

فقاتل بين يدي إمامه قتال الأبطال حتى قتل عشرة من الأعداء، قتله بعدها عامر بن نهشل التّميمي.

ثم برز بعده أخوه عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب -عليه السلام-وهو يرتجز ويقول:

إن تنكروني فأنا بن جــعفر شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخــضـر كفى بهـذا شرفـاً في المحشر

ثم كرّ على الأعداء، وجندل الصّناديد والأبطال وقاتل قتالاً شديداً حتى قتل جمعاً من الفرسان ومن الرّجالة، فشد عليه حينئذ عبد الله بن بطة الطّائي فقتله، وقيل: قتله عبد الله بن قبطنة التيهاني.

نعم، قدّمت السيدة زينب -عليها السلام- بين يدي أخيها الإمام الحسين -عليه السلام- ولديها وفلذتي كبدها بكل إخلاص، واحتسبتهما لله، ولم تذكرهما في شيء من

مراثيها، ولم تنوّه باسمهما، ولم تتطرّق الى شيء يخصّهما أو يذكّر بشهادتهما، ولم تخرج حتى عند شهادتهما حين سقطا على الأرض، كل ذلك تجلداً منها وصبراً، وتفانياً منها ومواساة؛ كي لا تمن على أخيها الإمام الحسين -عليه السلام- بهما، ولا يمس أخاها الضرّ من أجلهما، ولا ترى آثار العسر والحرج في وجه أخيها بسبب شهادتها.

فإنّها من شدّة معرفتها بإمامها كانت ترى كلّ شيء حتى شهادة فلذتي كبدها في قبال الإمام الحسين -عليه السلام- صفراً، وتجاهه صغيراً ضئيلاً، كما أنّها كانت ترى أسرها وسبيها كذلك، مع أنّه كان من الصّعب عليها جدّاً أن ترى نفسها في البلد الذي كان يتسابق من أجل الوصول الى خدمتها نساء الأعيان والأشراف، أن تكون الآن فيه أسيرة بيد الأعداء يسوقونها مسبيّة الى ابن زياد.

العالمة غير المعلمة

العلم من أفضل السّجايا الإنسانية، وأشرف الصّفات البشرية، به أكمل الله أنبياءه المرسلين، ورفع درجات عباده المخلصين، قال تعالى: (**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**)(١).

وإنّما صار العلم بهذه المثابة لأنّه يوصل صاحبه إلى معرفة الحقائق، ويكون سبباً لتوفيقه في نيل رضا الخالق، وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله- والأئمة من أهل بيته -عليهم السلام- يحثّون الأمة على طلب العلم، وكانوا يغذّون أطفالهم العلم كما يغذّونهم اللبن.

أما زينب -عليها السلام- المتربية في مدينة العلم النبوي، المعتكفة بعده ببابها العلوي، المتغذية باللبان الفاطمي من أمها الصّدّيقة الطاهرة -سلام الله عليها-، وقد طوت عمراً من الدّهر مع الإمامين السّبطين يزّقانها العلم زّقاً، فهي من عياب علم آل محمد -عليهم السلام- وعلى فضائلهم التي اعترف بها عدوهم الألد يزيد الطّاغية بقوله في الإمام السجاد -عليه السلام-: **"إنّه من أهل بيت زقّوا العلم زقّاً"**(٢).

وقد نص لها بهذه الكلمة ابن أخيها علي بن الحسين -عليهما السلام-: " **أنتِ بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهّمة**"(٣).

وهذا اللقب منحها الإمام زين العابدين -عليه السلام- ووصفها به، وذلك حينما أراد تسليتها وتعزيتها وتكريمها وتزكيتها -عليها السلام- على مرأى من الناس ومسمع، ليعلمهم:

أولاً: بالمقام الرّفيع الذي وهبه الله -تعالى- لها -سلام الله عليها-، وليهون من وقع المصائب العظيمة عليها.

ثانياً: فإنّ الإمام زين العابدين-عليه السلام- لمّا رأى عمّته زينب -عليها السلام- وهي في أسرها تخطب على الجماهير المتجمّعة من أهل الكوفة، الذين قد خرجوا للتّفرّج عليهم، والتفت إلى أنّها -عليها السلام- قد استعادت في ذاكرتها كل المصائب العظيمة التي جرت عليها واستعرضت كل انتهاكات القوم أمام مخيلتها، خاف عليها أن تموت حسرة وغصّة، فخاطبها قائلاً: " **أنت بحمد الله عالمة غير معلمة، وفهمة غير مفهمة...**"(٤).

ثم إنّه يمكن أن يستفاد من كلام الإمام السجاد-عليه السلام- المزبور في حق عمته زينب -عليها السلام- أموراً:

١: إنّ السيدة زينب -عليها السلام- كانت قد بلغت هذه المرتبة العظيمة والمقام الرّفيع عند الله -تعالى- وأنّ مادة علمها من سنخ ما منح به رجالات بيتها الرّفيع أُفيض عليها إلهاماً، لا بتخرج على أستاذ وأخذ عن مشيخة، وإن كان الحصول على تلك القوة الرّبّانية بسبب قابليتها وتهذيبات جدّها وأبيها وأمها وأخويها، ولانتمائها إليهم واتحادها معهم في الطّينة، فأُزيحت عنها بذلك الموانع المادية، وبقي مقتضى اللّطف الفيّاض الإلهي وحده وإذ كان لا يتطرقه البخل بتمام معانيه عادت العلّة لإفاضة العلم كله عليها بقدر استعدادها تامة، فأفيض عليها بأجمعه، سوى ما اختص به أئمة الدين -عليهم السلام-

من العلم المخصوص بمقامهم الأسمى.

ولولا ذلك لما نعتها ابن أخيها الإمام السجاد -عليه السلام- وهو معصوم بهذا النّعت، ولما وصفها بهذه الصفة.

٢: إنّ الإمام -عليه السلام- أراد بكلامه المذكور في حقّ عمّته زينب -عليها السلام- بيان شأنها، وإظهار عظمتها.

٣: إنّ الإمام -عليه السلام- أراد أن يشكر عمّته زينب -عليها السلام- بكلامه هذا، على ما أسدته -عليها السلام- إليه في كربلاء من خدمة كبرى حيث رأته يجود بنفسه من عظم المصاب فعزّته بمصابه وصبّرته عليه، فقام-عليه السلام- في الكوفة بعمل مماثل لما قامت به -عليها السلام- تجاهه، إضافة أنّ من أهمّ الكمالات النفسية، والمقامات الإنسانية، هو مقام العلم، فإنّ العلم هو قمّة كل شرف، وأفضل كل الملكات، وغذاء الرّوح، وبه استمرار الحياة المعنويّة، وشرفه ذاتي، وهذا ما لا يستطيع أحد إنكاره، إذ علو مقام العلم لا يخفى على أحد.

واعلم إنّ العلم على قسمين: اكتسابي وموهوبي، وبعبارة أخرى: تحصيلي ولدنّي.

أمّا الاكتسابي والتّحصيلي: فهو أن يسعى الإنسان في طلب العلم ويجد في تحصيله، وبقدر سعيه وجدّه يستطيع الإنسان أن ينال من درجات العلم وينتفع من بركاته.

وأمّا الموهوبي واللدنّي: فهو العلم الذي يمنحه الله -تعالى- خالق الإنسان بعض عباده ممّن له أهلية ذلك، ويقذفه في قلب من هو كفو لها، وذلك من غير تجشم عناء التعليم، ولا تحمّل أتعاب التّحصيل، فبعض يلهمه الله -تعالى- العلم إلهاماً غيبيّاً ومن دون واسطة، وبعض يلهمه بواسطة الملائكة ويريه الملائكة أيضاً ويُسمّى بالوحي، وبعض لا يريه الملائكة ويسمّى هذا الذي يوحى إليه بواسطة الملائكة ولا يرى الملائكة بالمحدّث، ولكل مقام خاص ودرجة خاصة تتفاوت رفعة وعلوّاً.

والحصول على هذه المقامات الرّفيعة من العلم اللّدنّي صعب جدّاً، ولا يتسنّى لأحد

من الناس الوصول إليها إلّا للأنبياء والرّسل، والأوصياء والأولياء-عليهم السلام-.

ثم إنّ الأنبياء والرّسل والأوصياء والأولياء الذين هم وحدهم المختصون بالعلم اللّدنّي يكونون بالنسبة إلى هذا العلم على درجات، فمنهم من قد حاز على درجة منه، ومنهم على درجتين، ومنهم على ثلاث درجات، والذي قد حاز على كامل الدّرجات وأعلى المراتب، هو أكمل المخلوقات، وأشرف الكائنات، سيّد الأنبياء وأشرف المرسلين، حبيب إله العالمين، محمد وأهل بيته المعصومين -صلوات الله عليهم أجمعين-.

والسيدة زينب -عليها السلام- هي من هذا البيت الرّفيع: بيت النّبوّة، وموضع الرّسالة، ومعدن العلم، وأهل بيت الوحي، فلا عجب أن تكون قد نالت درجة الإلهام فهي إذن ملهمة بصريح كلام ابن أخيها الإمام السجاد -عليه السلام- حين قال لها: "يا عمة ... أنت بحمد الله عالمة غير معلمة" إذ لا يكون العلم بلا تعلّم إلا عن طريق الإلهام.

وقد ظهر من السيدة زينب -عليها السلام- ما يدل على علمها وفهمها وذلك في مواقع ومواقف كثيرة في طفولتها، وفي زمن أبيها أمير المؤمنين-عليه السلام- من مجلس درسها في الكوفة، فقد جاء في بعض المصادر أنّها -عليها السلام- كانت تدير في بيتها أيام خلافة أبيها أمير المؤمنين -عليه السلام- الظاهرية في الكوفة مجلساً نسائياً يحضره نساء أهل الكوفة تفسّر لهنّ فيه القرآن الكريم.

وما كان منها: في نيابتها الخاصة عن الحسين -عليه السلام- حيث كان الناس يرجعون إليها في الحلال والحرام حتى برئ زين العابدين -عليه السلام- من مرضه. كما رواه الصّدوق محمد بن بابويه.

وما كان منها -عليها السلام-: عندما مروا بالأسرى على قتلاهنّ، فإنّها -عليها السلام- صاحت من بين كل السّبايا قائلة: **"يا محمداه ! هذا حسين بالعراء، مرمّل بالدّماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتّلة" فأبكت كل عدو وصديق حتى**

جرت دموع الخيل على حوافرها، ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدّس ورفعته نحو السّماء وقالت: "إلهي تقبّل منّا هذا القربان"(٥).

وهذا ما لا يستطيع قوله إلا مثل زينب -عليها السلام- العالمة غير المعلمة، والتي كانت قد تعهّدت لله تبارك وتعالى أن تُشارك نهضة أخيها الإمام الحسين-عليه السلام- وتكون معه جنباً إلى جنب:

وتشاطرت هي والحسين بدعوة ... حتم القضاء عليهما أن يندبا

هذا بمشتبك النّصول وهذه في ... حيث معترك المكاره في السبا

وما كان منها -عليها السلام-: عندما رأت ابن أخيها الإمام السّجاد-عليه السلام- ـ وهو إمام الصّبر ومعلّمه ـ يجود بنفسه لمّا نظر إلى أهله كالأضاحي مجزّرين وبينهم ريحانة رسول الله -صلى الله عليه وآله- بحالة تنفطر لها السماوات، وتنشق الأرض، وتخرّ منه الجبال هدّاً، فقالت له تسلّيه وتصبّره قائلة: **"مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي، فوالله إنّ هذا لعهد من الله إلى جدّك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات، أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المقطّعة، والجسوم المضرّجة، فيوارونها، وينصبون بهذا الطّف علماً لقبر أبيك سيّد الشّهداء، لا يدرس أثره، ولا يُمحى رسمه، على كرور اللّيالي والأيّام، وليجتهدنّ أئمة الكفر، وأشياع الضّلال في محوه وتطميسه، فلا يزداد إلّا علوّاً"(٦).**

وقد تحقق كل ما قالته -عليها السلام- مع أنّها أمور غيبية لا يطّلع عليها أحد إلّا من كان ملهماً من الله -تعالى-.

وما كان منها: ما أشار إليه الفاضل الدربندي وغيره: أنّها -عليها السلام- كانت تعلم علم المنايا والبلايا، بل جزم في (أسراره) أنّها -صلوات الله عليها- أفضل من مريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم-سلام الله عليهما- وغيرهما من فضليات النّساء، ومن نظر في (أسرار الشّهادة) رأى فيه من الاستنباطات والتّحقيقات في حق زينب

-صلوات الله عليها- ما هو أكثر بكثير.

هذه هاجر.. وهذه زينب-عليهما السلام-

جاء في قصة إبراهيم الخليل -عليه السلام- أنّه لمّا أراد أن يأخذ ابنه إسماعيل -عليه السلام- معه الى منى ليقدّمه قرباناً الى الله -تعالى-، طلب من أمّه هاجر أن تزينه وتلبسه ملابسه الفاخرة، حتى يأخذه معه الى ضيافة خليله العزيز، وهو يقصد به ضيافة الله -تبارك وتعالى-، غير أنّه كنى عنه بذلك، ولم يُصرّح أمام أمّه بما يريده إشفاقاً منه عليها.

فهيّأته فأخذه معه وتلّه للجبين ووضع المدية على رقبته، وأخذ يجزّ بها رقبته حتى إذا اثر ذلك في عنقه بالحمرة فقط لا قطعاً، نزل جبرئيل ومعه كبش كبير وأمره بذبحه مكان ولده، فذبح إبراهيم الكبش ورجع بإسماعيل سالماً الى أمّه..

فلمّا وقع نظر الأم الحنون هاجر-عليها السلام- على موقع المدية وأثرها من الاحمرار على رقبة ابنها العزيز إسماعيل، سقطت على الأرض مغشيّاً عليها، ثم لم تعش في الحياة بعد ذلك إلّا قليلاً.

وبالمقارنة بين هذه الأم الحنون، وبين الأم العطوف السّيدة زينب -عليها السلام- يعرف مدى صبر عقيلة بني هاشم على المصائب الكبرى، وتجلدها عند الافتجاع بالأحباب والأعزة.

فالسيدة زينب -عليها السلام- بدل تزيين هاجر ابنها إسماعيل تُلبس ولديها محمداً وعوناً ـ وكل منهما إسماعيل عصره وزمانه ـ لامة الحرب، وتطلب من أخيها الإمام الحسين-عليه السلام- أن يقبلهما فدائيين صغيرين له، وأن يأذن لهما في المبارزة والشّهادة بين يديه.

والسيدة زينب -عليها السلام- تعرضت مكان رؤية هاجر احمرار رقبة ابنها إسماعيل المتأثّر بإمرار المدية عليها، الى رؤية جسد ولديها مقطّعاً بالسيوف، موذّراً على رمضاء كربلاء، فصبرت وغضّت الطّرف عنهما، وسكنت ولم تبكِ عليهما، وتجلدت ولم

تذكرهما في مدح ولا رثاء، ولا في مناسبة، كل ذلك إعظاماً منها لأخيها الإمام الحسين- عليه السلام- وإكباراً له، واحتقاراً منها لقليل ما قدّمته له وبين يديه، و لئلا يخجل الإمام الحسين -عليه السلام- منها.

لكن نفس هذه السيدة العظيمة لمّا سمعت بأنّ ابن أخيها علي الأكبر -عليه السلام- قد استشهد خرجت من المخيم الى المعركة وهي مُوَلوِلة ومعولة، وصارخة ومنادية: واعلياه.. وا ابن اخاه.. مما أشغلت بال أخيها الإمام الحسين -عليه السلام- عن ولده، وعطفت همّه عليها، ووجّهت فكره إليها، والى إرجاعها الى المخيم.

الهوامش:

(١) سورة المجادلة/ الآية:١١.

(٢) بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ٤٥ / ص ١٣٨.

(٣) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ١٦٤.

(٤) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ١٦٤.

(٥) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ٥٩.

(٦) بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ٢٨ / ص٥٧.

سلام على قلب زينب الصبور

من مظلومية المعصومين وذويهم (عليهم السلام)

حيدر فائق/ صحفي

إنَّ تاريخ المعصومين -عليهم السلام- من الأنبياء السّابقين ورسول الله وفاطمة الزّهراء والأئمة الاثني عشر وذويهم -صلوات الله عليهم أجمعين- ربما كان فيه بعض الاضطراب من حيث تاريخ الولادة والوفاة والزّواج وعدد الأولاد وبعض الخصوصيات الأخرى.. كما يراه الإنسان في مراجعة أحوالهم.

وهذا من الشّواهد على عظيم مظلوميّتهم، فإنّ ذلك كان تعمّداً من الأعداء في إخفاء ذكرهم بالقدر الممكن حتّى **(يحرِّفون الكلم عن مواضعه)**(١).

وكان جهلاً وعدم مبالات من جهة أخرى: **(ونسوا حظاً مما ذُكِّروا به)**(٢)، أو ما أشبه ذلك.

ولكن مع كل ذلك قال -تعالى-: **(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)**(٣).

ولم تكن السّيدة زينب -عليها السلام- مستثناة عن هذه القاعدة، فقد ولِدت السّيدة زينب -عليها السلام- في المدينة المنوّرة في ٥ جمادى الأولى، عام ٥ من الهجرة النّبوية المباركة، وقد اختلف المؤرّخون حول مكان وزمان وفاتها -عليها السلام-:

فمنهم من قال: إنّها توفّيت في المدينة المنورة ودُفنت فيها (كما يرجح السيد محسن الأمين في الأعيان ج٣٣).

ومنهم من قال: إنّها توفّيت في مصر ودفنت في مقامها المعروف حاليّاً (كما ذهب ابن عساكر وابن العبيدي وابن طولون ومحمد جواد مغنية وغيرهم).

ومنهم من قال: إنّها توفّيت في الشّام ودفنت في بستان بقرب مدينة دمشق يعود ملكيته لزوجها عبد الله بن جعفر.. حيث مزارها المعروف حالياً، وهذا أشهر الأقوال.

وكانت وفاتها -عليها السلام- ـ على قول ـ في ١٥ رجب سنة ٦٢ه، وقيل ٦٥ من الهجرة..

فما هي الأسباب التي أدّت الى هذا التّضارب في الآراء؟

الجواب: هذا الاختلاف راجع الى تعدّد الرّوايات والأقوال والآثار، وهذا التّعدّد تعدد معهود في كثير من الوقائع التاريخية حتى تاريخ استشهاد النّبي الأعظم -صلى الله عليه وآله-.

نلاحظ أنّ الرّوايات في تحديده مختلفة.

كذلك شهادات المعصومين -عليهم السلام- ومواليد المعصومين -عليهم السلام- لعلّي لا أكون مجانباً للصواب إن قلت أنا لا نجد اتفاقاً بالنسبة الى أحد من المعصومين على تاريخ محدد يرتبط بشهادته إلّا الإمام الحسين بن علي -صلوات الله عليهم- هنالك اتفاق على أنّه استشهد في العاشر من شهر محرم.

وقبل الإجابة على هذا السؤال لا بد من معرفة قضية مهمّة جداً ألا وهي: ليس منشأ هذا الاختلاف تضارب أقوال الأئمة -صلوات الله عليهم-، وبعبارة أخرى علينا هنا أن نفهم أن اختلاف الرّوايات ليس معناه أن الأئمة -عليهم السلام- اختلفوا في تحديد هذه التّواريخ.

وإنّما الاختلاف أتى من قبل الرّواة ومن قبل اختلاف النّسخ حيث انه في تلك الأزمنة لم يكن يقع ضبط للتواريخ كما يقع اليوم لعدّة أسباب...

أوّلاً: إن التّواريخ كلّها كانت في تلك الأزمنة من المسموعات إذ لم تكن تُدوّن أوّل بأوّل إلّا نادراً، وبعبارة أخرى القاعدة العامة في نقل التاريخ كان اعتماداً على المسموعات.

متى ولد النّبي الأكرم -صلى الله عليه وآله-؟

جماعة سمعوا في يوم كذا، وجماعة أخرى سمعوا في يوم آخر.

متى استشهد النّبي الأكرم -صلى الله عليه وآله-؟

كذلك...

كان الاعتماد فقط على المسموعات، والمسموعات هذه من الطّبيعي أن تتعرض مع

مرور الأيّام الى النسيان وبالتالي يقع الاختلاف.

ثانياً: حركة التّدوين أساساً بدأت متأخّرة في التاريخ الإسلامي، ووفاة الحوراء -صلوات الله عليها- وقعت في الصّدر الأوّل من تاريخنا الإسلامي، لذلك لم تكن آنذاك حركة التّدوين قد بدأت على النحو الذي بدأت فيه لاحقاً اعتباراً من القرن الثاني تقريباً بدأت بشكل يمكن الاعتماد عليه إجمالاً، فأسهم ذلك أيضاً في وقوع هذا الاختلاف والتّضارب من جهة أخرى.

وهناك مسألة أخرى وهي أنَّ نفس من دوّن في هذه التّواريخ كان يُدوّن على صحف قديمة، وعلى وسائل قديمة، وبوسائل قديمة فالمداد الذي كان يكتبون به آنذاك كان يتعرّض للزوال من أدنى شيء يصيبه من الماء أو من أشعة الشّمس؛ لذلك حينما كانوا يعثرون مثلاً على صحيفة مكتوب عليها شيء رواية معينة أو أثر معين او تاريخ معين... كانوا كثيراً ما يتحرون في إكمال الفراغات في تلك الصّحيفة يعني هنا كلمة ظهر فيها بياض، هنا كلمة ناقصة، وهنا كلمة غير واضحة المعالم.

واضف الى ذلك أنّه لم يكن هناك تنقيط سابقاً... يعني مع بدء حركة التّدوين كان التّنقيط قليلاً فالأحرف تتشابه ومن هنا يقع أيضاً اختلاف في تفسير أو قراءة الكلمة الواحد فضلاً عن الجملة أو العبارة الواحدة.

هذا كله ناهيك على أنه الشّيعة والائمة قبل الشّيعة -صلوات الله عليهم- كانوا يعيشون في أجواء من الاضطهاد والظّلم الذي كان يحول دون توارد المعلومات دون انسيابية المعلومات.

هذه القيود التي كانت مفروضة على الأئمة الأطهار-عليهم السلام- وعلى أصحابهم الأبرار وشيعتهم المخلصين. هذه القيود كانت تسهم في ضياع كثير من الرّوايات وتحريفها؛ لأنّ المعلومة ليست حرّة في تنقّل الرّواية، وما كان أحد يجرأ أن يقول حدّثني جعفر بن محمد الصادق -عليه السلام- مثلا.. إلّا في فترات زمنية محدودة، زمن

الاضطراب بين دولتي بني أميّة وبني العباس، حيث القلائل هذه كانت تعطي فرجة ما للتحرّك أمّا على العادة والقاعدة لم يكن أحد يستطيع التّحدث بطلاقة!

فمن هنا كانت جماعة مثلاً يسمعون شيئاً من الإمام -عليه السلام- مع مرور الزمان وتغيّر الأجواء ومع التّعتيم الذي تفرضه السّلطات ومع حالة الخوف كان ينسى بعضهم، أو يشتبه بعضهم، أو يسهو بعضهم فتنتقل المعلومة بشكل خاطئ الى الآخرين ولعلّها أصلاً لا تنتقل وبالتالي يقع فراغ كبير وهائل في ضبط المعلومات ...

الهوامش:

١- سورة النساء/ الآية: ٤٦.

٢- سورة المائدة/ الآية: ١٣.

٣- سورة الصف/ الآية: ٨.

هذه هي زينب -سلام الله عليها-

جنان مالك/ كاتبة

ما من صفةٍ كريمةٍ أو نزعةٍ شريفةٍ يفتخر بها الإنسان، ويسمو بها على غيره من الكائنات الحية إلّا وهي من عناصر عقيلة بني هاشم، وفخر المخدرات زينب -عليها السّلام-، فقد تحلّت بجميع الفضائل التي وهبها الله -تعالى- لجدّها الرسول الأعظم -صلّى الله عليه وآله-، وأبيها الإمام أمير المؤمنين -عليه السّلام-، وأُمّها سيدة نساء العالمين -عليها السّلام-، وأخويها الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي رسول الله -صلّى الله عليه وآله-، فقد ورثت خصائصهم، وحكت مميزاتهم، وشابهتهم في سموّ ذاتهم ومكارم أخلاقهم.

لقد كانت حفيدة الرّسول بحكم مواريثها وخصائصها أعظم وأجلّ سيدة في دنيا الإسلام، فقد أقامت صروح العدل، وشيّدت معالم الحق، وأبرزت قيم الإسلام ومبادئه على حقيقتها النّازلة من ربّ العالمين، فقد جاهدت هي وأُمّها زهراء الرسول-صلوات الله عليهما- كأعظم ما يكون الجهاد، ووقفتا بصلابة لا يُعرف لها مثيل أمام التّيّارات المنحرفة التي حاولت بجميع ما تملك من وسائل القوة أن تلقي السّتار على قادة الأُمّة وهداتها الواقعيين، الذين أقامهم الرسول -صلّى الله عليه وآله- أعلاماً لأُمّته، وخزنة لحكمته وعلومه، فقد أظهرت زهراء الرسول-عليها السلام- بقوة وصلابة عن حقّ سيّد العترة الإمام أمير المؤمنين-عليه السلام-، رائد العدالة الاجتماعية في الإسلام، فناهضت حكومة أبي بكر في خطابها التأريخي الخالد، وسائر مواقفها المشرّفة التي وضعت فيها الأساس المشرق لمبادئ شيعة أهل البيت-عليهم السلام-، فهي المؤسِّسة الأُولى بعد أبيها -صلّى الله عليه وآله- لمذهب أهل البيت -عليهم السّلام-، وكذلك وقفت ابنتها العقلية أمام الحكم الأُموي الأسود الذي استهدف قلع الإسلام من جذوره ومحو سطوره، وإقصاء أهل البيت -عليهم السّلام- عن واقعهم الاجتماعي والسّياسي، وإبعادهم عن المجتمع الإسلامي، فوقفت حفيدة الرّسول -صلّى الله عليه وآله- مع أخيها أبي الأحرار في خندق واحد، فحطّم أخوها بشهادته وهي بخطبها في أروقة بلاط

الحكم الأُموي، ذلك الكابوس المظلم الذي كان جاثماً على رقاب المسلمين.

وعلى أي حال، فإنّا نعرض بصورة موجزة لبعض العناصر النّفسيّة لحفيدة الرّسول -صلّى الله عليه وآله-، وما تتمتّع به من القابليات الفذّة، التي جعلتها في طليعة نساء المسلمين، وفيما يلي ذلك:

الإيمان الوثيق

وتربّت عقيلة بني هاشم في بيت الدّعوة إلى الله -تعالى-، ذلك البيت الذي كان فيه مهبط الوحي والتّنزيل، ومنه انطلقت كلمة التّوحيد وامتدّت أشعّتها المشرقة على جميع شعوب العالم وأُمم الأرض، وكان ذلك أهمّ المعطيات لرسالة جدّها العظيم.

لقد تغذت حفيدة الرّسول بجوهر الإيمان وواقع الإسلام، وانطبع حبّ الله -تعالى- في عواطفها ومشاعرها حتى صار ذلك من مقوّماتها وذاتيّاتها، وقد أحاطت بها المحن والخطوب منذ نعومة أظفارها، وتجرّعت أقسى وأمرّ ألوان المصائب، كلّ ذلك من أجل رفع كلمة الله عالية خفّاقة.

إنّ الإيمان الوثيق بالله -تعالى- والانقطاع الكامل إليه كانا من ذاتيّات الأُسرة النّبوية ومن أبرز خصائصهم، ألم يقل سيّد العترة الطّاهرة الإمام أمير المؤمنين-عليه السلام- في دعائه: **" ما عبدتك خوفا من نارك، ولا طمعا في جنتك، لكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك"(١).**

وهو القائل: " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا"(٢).

أما سيّد شباب أهل الجنة الإمام الحسين -عليه السّلام-، فقد أخلص لله -تعالى- كأعظم ما يكون الإخلاص، وذاب في محبّته وقد قدّم نفسه والكواكب المشرقة من أبنائه وأخوته وأبناء عمومته قرابين خالصة لوجه الله-تعالى-، وقد طافت به المصائب والأزمات التي يذوب من هولها الجبال، وامتحن بما لم يمتحن به أحدٌ من أنبياء الله وأوليائه، كل ذلك في سبيل الله -تعالى-، فقد رأى أهل بيته وأصحابه المجدين

صرعى، ونظر إلى حرائر النّبوة وعقائل الوحي، وهنّ بحالة تميد من هولها الجبال، وقد أحاطت به أرجاس البشرية وهم يوسعونه ضرباً بالسّيوف وطعناً بالرّماح، ليتقرّبوا بقتله إلى سيّدهم ابن مرجانة، لقد قال وهو بتلك الحالة كلمته الخالدة، قال: **" لك العتبى يا ربّ إنّ كان يرضيك هذا، فهذا إلى رضاك قليل"، ولمّا ذُبح ولده الرّضيع بين يديه، قال: "هوّن ما نزل بي أنّه بعين الله"**(٣).

أرأيتم هذا الإيمان الذي لا حدود له!

أرأيتم هذا الانقطاع والتّبتّل إلى الله-سبحانه-!

وكانت حفيدة الرّسول زينب -سلام الله عليها- كأبيها وأخيها في عظيم إيمانها وانقطاعها إلى الله-تعالى-، فقد وقفت على جثمان شقيقها الذي مزّقته سيوف الشّرك، فرمقت السّماء بطرفها، وقالت كلمتها الخالدة التي دارت مع الفلك وارتسمت فيه: **"اللّهمّ تقبّل منّا هذا القربان"**(٤).

إنّ الإنسانية تنحني إجلالاً وخضوعاً أمام هذا الإيمان الذي هو السرّ في خلودها وخلود أخيها.

لقد تضرّعت بطلة الإسلام بخشوع إلى الله -تعالى- أن يتقبّل ذلك القربان العظيم الذي هو ريحانة رسول الله -صلّى الله عليه وآله-.

فأيّ إيمان يماثل هذا الإيمان؟!

وأيّ تبتّل إلى الله -تعالى- يضارع هذا التبتّل؟!

لقد أظهرت حفيدة الرسول بهذه الكلمات الخالدة معاني الوراثة النّبوية، وأظهرت الواقع الإسلامي وأنارت السّبيل أمام كلّ مصلح اجتماعي، وأنّ كلّ تضحية تُؤدّى للأُمّة يجب أن تكون خالصة لوجه الله غير مشفوعة بأيّ غرض من أغراض الدّنيا.

ومن عظيم إيمانها الذي يبهر العقول، ويحيّر الألباب أنّها أدّت صلاة الشّكر إلى الله -تعالى- ليلة الحادي عشر من المحرّم على ما وفّق أخاها ووفّقها لخدمة الإسلام ورفع

كلمة الله.

لقد أدّت الشّكر في أقسى ليلة وأفجعها، والتي لم تمرّ مثلها على أيّ أحدٍ من بني الإنسان، فقد أحاطت بها المآسي التي تذوب من هولها الجبال، فالجثث الزّواكي من أبناء الرّسول وأصحابهم أمامها لا مغسّلين ولا مكفّنين، وخيام العلويات قد أحرقها الطّغاة اللّئام، وسلبوا ما عند بنات رسول الله -صلى الله عليه وآله- من أمتعة وهنّ يعجن بالبكاء لا يعرفنَ ماذا يجري عليهنّ من الأسر والذّلّ إلى غير ذلك من المآسي التي أحاطت بحفيدة الرّسول -صلّى الله عليه وآله- وهي تؤدّي صلاة الشّكر لله على هذه النّعمة التي أضفاها عليها وعلى أخيها.

تدول الدّول وتفنى الحضارات وهذا الإيمان العلوي أحقّ بالبقاء، وأجدر بالخلود من هذا الكوكب الذي نعيش فيه.

الصّبر

من النزعات الفذة التي تسلّحت بها مفخرة الإسلام وسيّدة النساء زينب -عليها السّلام- هي الصبر على نوائب الدنيا وفجائع الأيام، فقد تواكبت عليها الكوارث منذ فجر الصّبا، فرزئت بجدّها الرسول -صلّى الله عليه وآله- الذي كان يحدب عليها، ويفيض عليها بحنانه وعطفه، وشاهدت الأحداث الرّهيبة المروّعة التي دهمت أباها وأمّها بعد وفاة جدّها، فقد أُقصي أبوها عن مركزه الذي أقامه فيه النّبي -صلّى الله عليه وآله-، وأجمع القوم على هضم أُمّها حتى استشهدت وهي في روعة الشّباب وغضارة العمر، وقد كوت هذه الخطوب قلب العقيلة إلّا أنّها خلّدت إلى الصّبر، وتوالت بعد ذلك عليها المصائب، فقد رأت شقيقها الإمام الحسن الزّكي -عليه السّلام- قد غدر به أهل الكوفة، حتى أضطر إلى الصّلح مع معاوية الذي هو خصم أبيها وعدوّه الألد، ولم تمضِ سنين يسيرة حتى اغتاله بالسمّ وشاهدته وهو يتقيأ دماً من شدّة السمّ حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

وكان من أقسى ما تجرعتّه من المحن والمصائب يوم الطّف، فقد رأت شقيقها الإمام الحسين -عليه السّلام- قد استسلم للموت لا ناصر له ولا معين، وشاهدت الكواكب المشرقة من شباب العلويين صرعى قد حصدتهم سيوف الأُمويين، وشاهدت الأطفال الرّضّع يُذبحون أمامها.

إنّ أي واحدة من رزايا السيّدة زينب-عليها السلام- لو ابتلي بها أيّ إنسان مهما تذرّع بالصّبر وقوّة النفس لأوهنت قواه، واستسلم للضّعف النّفسي، وما تمكّن على مقاومة الأحداث، ولكنّها -سلام الله عليها- قد صمدت أمام ذلك البلاء العارم، وقاومت الأحداث بنفس آمنة مطمئنة راضية بقضاء الله -تعالى- وصابرة على بلائه، فكانت من أبرز المعنيين بقوله -تعالى-: (**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعون**)(٥)، وقال -تعالى-: (**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَاب**)(٦)، وقال -تعالى-: (**وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون**)(٧)، لقد صبرت حفيدة الرّسول -صلّى الله عليه وآله- وأظهرت التجلّد وقوة النّفس أمام أعداء الله-تعالى-، وقاومتهم بصلابة وشموخ، فلم يشاهد في جميع فترات التأريخ سيّدة مثلها في قوة عزيمتها وصمودها أمام الكوارث والخطوب.

يقول الحجّة الشّيخ هادي آل كاشف الغطاء في صبرها وعظيم محنتها:

لله صبـر زينـب العقيلـة ... كم شاهدت مصائباً مهولة
رأت من الخطوب والرّزايا ... أمـراً تهون دونه المنايـا
رأت كرام قومها الأماجـد ... مجزّرين في صعيـد واحد
تسفي على جسومها الرّياح ... وهي لذؤبـان الفلا تباح
رأت رؤوساً بالقنا تشـال ... وجثثـاً أكفانها الرّمـال
رأت رضيعاً بالسّهام يفطم ... وصبية بعد أبيهـم أيتموا
رأت شماتـة العـدو فيهـا ... وصنعه ما شـاء في أخيها

وإنّ من أدهى الخطوب السّودِ وقوفها بين يدي يزيد

لقد قابلت العقيلة ما عانته من الكوارث المذهلة والخطوب السود بصبر يذهل كل كائن حي.

العزّة والكرامة

من أبرز الصّفات النّفسية الماثلة في شخصية السّيّدة زينب -عليها السّلام- هي: العزّة والكرامة، فقد كانت من سيّدات نساء الدنيا في هذه الظاهرة الفذّة، فقد حُملت بعد مقتل أخيها من كربلاء إلى الكوفة سبيّة ومعها بنات رسول الله -صلّى الله عليه وآله- قد نُهب جميع ما عندهنّ من أمتعة، وقد أضرّ الجوع بأطفال أهل البيت وعقائلهم، فترفعت العقيلة أن تطلب من أولئك الممسوخين - من شرطة ابن مرجانة- شيئاً من الطّعام لهم، ولمّا انتهى موكب السّبايا إلى الكوفة، وعلمن النّساء أنّ السّبايا من أهل بيت النبوة سارعن إلى تقديم الطّعام إلى الأطفال الذين ذوت أجسامهم من الجوع، فانبرت السيّدة زينب مخاطبة نساء أهل الكوفة قائلة: الصّدقة محرّمة علينا أهل البيت....

ولما سمع أطفال أهل البيت من عمّتهم ذلك ألقوا ما في أيديهم وأفواههم من الطّعام، وأخذ بعضهم يقول لبعض: إنّ عمّتنا تقول: الصّدقة حرام علينا أهل البيت.

أيّ تربية فذّة تربّى عليها أطفال أهل البيت إنّها تربية الأنبياء والصّدّيقين التي تسمو بالإنسان فترفعه إلى مستوى رفيع يكون من أفضل خلق الله-تعالى-.

ولمّا سُيِّرت سبايا أهل البيت من الكوفة إلى الشّام لم تطلب السّيّدة زينب طيلة الطّريق أيّ شيء من الإسعافات إلى الأطفال والنّساء مع شدّة الحاجة إليها، فقد أنفت أن تطلب أيّ مساعدة من أولئك الجفاة الأنذال الذين رافقوا الموكب.

لقد ورثت عقيلة بني هاشم-عليها السلام- من جدّها وأبيها العزّة والكرامة والشّرف والإباء، فلم تخضع لأي أحدٍ مهما قست الأيام وتلبّدت الظّروف، إنّها لم تخضع إلّا إلى الله -تعالى-.

الشّجاعة

ولم يشاهد الناس في جميع مراحل التأريخ أشجع ولا أربط جأشاً ولا أقوى جناناً من الأُسرة النّبوية الكريمة، فالإمام أمير المؤمنين -سلام الله عليه- عميد العترة الطّاهرة كان من أشجع خلق الله، وهو القائل: **"لو تضافرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها"**، وقد خاض أعنف المعارك وأشدّها قسوة، فجندل الأبطال، وألحق بجيوش الشّرك أفدح الخسائر، وقد قام الإسلام عبل الذراع مفتول الساعد بجهاده وجهوده، فهو معجزة الإسلام الكبرى، وكان ولده أبو الأحرار الإمام الحسين -عليه السّلام- مضرب المثل في بسالته وشجاعته، فقد حيّر الألباب وأذهل العقول بشجاعته وصلابته وقوة بأسه، فقد وقف يوم العاشر من المحرم موقفاً لم يقفه أي أحدٍ من أبطال العالم، فإنّه لم ينهار أمام تلك النّكبات المذهلة التي تعصف بالحلم والصّبر، فكان يزداد انطلاقاً وبشراً كلّما ازداد الموقف بلاءً ومحنةً، فإنّه بعدما صُرِعَ أصحابه وأهل بيته زحف عليه الجيش بأسره - وكان عدده فيما يقول الرّواة ثلاثين ألفاً- فحمل عليهم وحده وقد طارت أفئدتهم من الخوف والرّعب، فانهزموا أمامه كالمعزى إذا شدّ عليها الذّئب - على حدّ تعبير بعض الرّواة- وبقي صامداً كالجبل يتلقّى الطّعنات والسّهام من كل جانب، لم يوهن له ركن، ولم تضعف له عزيمة.

ولما سقط -سلام الله عليه- على الأرض جريحاً قد أعياه نزف الدّماء تحامى الجيش الأُموي من الإجهاز عليه خوفاً ورعباً منه، يقول السّيّد حيدر:

عفـــيراً متـــى عـــاينته الكماة ... يخـــتطف الـــرّعب ألـــوانها

فـــما أجـــلت الحـــرب عن مثله ... صـــريعاً يجـــبّن شـــجعانـــها

وتمثلت هذه البطولة العلوية بجميع صورها وألوانها عند حفيدة الرّسول وعقيلة بني هاشم السيّدة زينب -سلام الله عليها-، فإنّها لمّا مثلت أمام الإرهابي المجرم سليل الأدعياء ابن مرجانة احتقرته واستهانت به، فاندفع الأثيم يظهر الشّماتة بلسانه الألكن

قائلاً: " الحمد لله الذي فضحكم، وقتلكم، وكذّب أُحدوثتكم...".

فانبرت حفيدة الرسول بشجاعة وصلابة قائلة: " **الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَكْرَمَنَا بِنَبِيِّهِ، وَطَهَّرَنَا مِنَ الرِّجْسِ تَطْهِيراً، إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنا، وَهُوَ غَيرنَا يَا بْنَ مَرْجَانَة**"..(٨).

لقد قالت هذا القول الصّارم الذي هو أمض من السّلاح، وهي والمخدرات من آل محمّد في قيد الأسر، وقد رفعت فوق رؤوسهن رؤوس حماتهن، وشهرت عليهنّ سيوف الملحدين.

لقد أنزلت العقيلة -بهذه الكلمات- الطّاغية من عرشه إلى قبره، وعرّفته أمام خدمه وعبيده أنّه المفتضح والمنهزم، وأنّ أخاها هو المنتصر، ولم يجد ابن مرجانة كلاماً يقوله سوى التشفّي بقتل عترة رسول الله -صلّى الله عليه وآله-، قائلاً: كيف رأيتِ صنع الله بأخيك..؟

وانطلقت عقيلة بن هاشم ببسالة وصمود، فأجابت بكلمات الظّفر والنّصر لها ولأخيها قائلة: " **ما رَأَيْتُ إلاّ جَميلاً، هؤُلاءَ قَوْمٌ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقَتَلَ، فَبَرَزُوا إلى مَضَاجِعِهِمْ، وَسَيَجْمَعُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتَحَاجَّ وَتُخَاصَمُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلجُ يَوْمَئِذٍ، ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا بْنَ مَرْجَانَةَ...**"(٩).

أرأيتم هذا التبكيت الموجع؟ أرأيتم هذه الشّجاعة العلوية؟ فقد سجّلت حفيدة الرّسول -صلّى الله عليه وآله- بموقفها وكلماتها فخراً للإسلام وعزاً للمسلمين ومجداً خالداً للأُسرة النبوية.

أما موقفها في بلاط يزيد، وموقفها مع الشّامي وخطابها الثّوري الخالد فقد هزّ العرش الأُموي، وكشف الواقع الجاهلي ليزيد ومن مكّنه من رقاب المسلمين.

الزّهد في الدّنيا

ومن صفات السيدة زينب -عليها السّلام-: الزّهد في الدنيا، قد بذلت جميع زينتها ومباهجها مقتدية بأبيها الذي طلّق الدّنيا ثلاثاً لا رجعة له فيها، ومقتدية بأُمّها سيّدة نساء العالمين -عليها السلام-، فقد كانت فيما رواه المؤرّخون لا تملك في دارها سوى حصير من سعف النّخل وجلد شاه، وكانت تلبس الكساء من صوف الإبل، وتطحن بيدها الشّعير، إلى غير ذلك من صنوف الزّهد والإعراض عن الدّنيا، وقد تأثّرت عقيلة الرسول -صلّى الله عليه وآله- بهذه الرّوح الكريمة فزهدت في جميع مظاهر الدّنيا. وقد طلّقت الدّنيا وزهدت فيها وذلك بمصاحبتها لأخيها أبي الأحرار، فقد علمت أنّه سيستشهد في كربلاء أخبرها بذلك أبوها، فصحبته وتركت زوجها الذي كان يرفل بيته بالنّعيم ومتع الحياة، رفضت ذلك كلّه وآثرت القيام مع أخيها لنصرة الإسلام والذبّ عن مبادئه وقيمه، وهي على علم بما تشاهده من مصرع أخيها، وما يجري عليها بالذّات من الأسر والذّل، لقد قدّمت على ذلك خدمة لدين الله -تعالى-.

الهوامش:

(١)بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج٦٧ / ص١٨٦.

(٢)المصدر نفسه / ج ٦٤ / ص ٣٢١.

(٣) المصدر نفسه/ ج ٤٥ / صفحة [٤٦]

(٤) الانتصار، العاملي: ج٩، ص٦٢

(٥) سورة البقرة/ الآية: ١٥٥-١٥٧.

(٦) سورة الزمر/ الآية: ١٠.

(٧) سورة النحل/ الآية:٩٦.

(٨) المجلسي/ المصدر السابق/ ج ٤٥ / ص ١١٧.

(٩) المصدر نفسه/ ج ٤٥ / ص ١١٦.

AL-MAHDI

الدّور الإعلامي للسّيّدة زينب -عليها السلام-

السيد مرتضى الموسوي/ صحفي

نتوقف اليوم عند ذكرى عظيمة لولادة سيّدة جليلة حصلت على الكثير من الألقاب بفضل شخصيتها العظيمة التي أدّت دوراً رساليّاً كبيراً في حفظ تعاليم الإسلام المحمدي الأصيل من خلال الدّور البارز الذي أدّته في كربلاء.

إنّها السّيّدة زينب -عليها السلام-، وأبرز ألقابها "أم المصائب" لشدّة الرّزايا والمصائب التي مرّت عليها، حتى أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- عندما حضر إلى منزل ابنته السّيدة فاطمة الزّهراء -عليها السّلام- طلب منها أن تحضرها له وعندما أحضرتها ضمّها إلى صدره الشّريف، ووضع خدَّه على خدها وبكى بكاءً شديداً عالياً، وسالت دموعه على خدّيه .

فقالت فاطمة: ممّ بكاؤك، لا أبكى الله عينك يا أبتاه؟

فقال: يا بنتاه يا فاطمة، إنّ هذه البنت ستُبتلى ببلايا وترِد عليها مصائب شتّى، ورزايا أدهى.

السيدة زينب -عليها السلام- تربّت في كنف بيت أهل علم **"زقّوا العلم زقّا"**(١) نزلت بحقهم (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**)(٢)، فكانت تربيتها مميزة بحق، بفعل تميز مربّيها وهذا الأمر لم يكن عن عبث وإنّما كان من أجل إعدادها الإعداد الملائم الذي يتناسب مع الدّور الذي ستؤدّيه في حياتها لاحقاً في حفظ ثورة أخيها الإمام الحسين -عليه السلام-، فأُعدّت لتكون شخصيتها متكاملة قادرة على الثّبات في أداء مسؤوليتها الرّبّانية الشّاقة التي أنيطت بها ومن هذه الأمور:

الاستيعاب الكامل لفلسفة الثّورة، الوعي في التّحرّك، الإشراف على عائلة الحسين -عليه السلام-، الصّبر على شدّة البلاء، الإرادة القويّة، القدرة على المحاججة، الحنكة في التّعبير، الموهبة في الخطابة، الصّلابة في التّبليغ، والفكر النافذ المؤثّر.. وغيرها.

وهذه صفات لا يمتلكها إلا نوادر الرّجال والنّساء، لذلك أصبحت -عليها السلام- ولا زالت قدوة وقيادة شرعية مخلصة وكفوءة لجميع المسلمين رجالاً ونساءً.

إضافة إلى ذلك فقد ورثت العقيلة من جدّها الرّسول-صلى الله عليه وآله- ومن أبيها الإمام أمير المؤمنين-عليه السلام- جميع ما امتازوا به من المُثل الكريمة، والتي كان من أبرزها الإيمان العميق بالله -تعالى-، فقد روى المؤرخون عن إيمانها صوراً مذهلة كان منها أنّها صلّت ليلة الحادي عشر من محرم سنة واحد وستين للهجرة، -وهي أقسى ليلة في تاريخ الإسلام، وبالتالي في حياتها-، صلاة الشكر لله -تعالى- على هذه الكارثة الكبرى التي حلّت بهم والتي فيها خدمة للإسلام ورفع لكلمة التّوحيد.

هذا تعريف بسيط لهذه السّيدة العظيمة لندخل في طبيعة الدّور المهم الذي أدّته السّيدة زينب -عليها السلام- في ثورة الإمام الحسين -عليه السلام-، وهو دور إعلامي استطاع أن يحفظ الثّورة من الاندثار، ويبقي شعلتها متّقدة في قلوب المؤمنين، حتى أنّنا يمكن أن نقول إنّها السّيدة الإعلامية الأولى بامتياز.

نحن اليوم نعيش في عصر يحمل في طيّاته تقدّماً مذهلاً من التّطوّر الإعلامي، بحيث أنّنا نستطيع أن نعرف خلال دقائق قليلة بل في ثوان أيّ حدث في أيّ مكان من هذا العالم، من خلال وسائل الإعلام المتطوّرة والسّريعة، والتي تتمثّل غالباً في الفضائيّات والإنترنت التي تعرّفنا على كل ما نريد وكل ما يحدث.

كل هذا لم يكن متاحاً في السّابق، والخبر كان يحتاج إلى من ينقله من مكان إلى آخر، ولم يكن لينتقل بهذه السّرعة. ولكن عندما يكون هنالك إرادة إلهية فإنّها تتم، لأنّ الله -سبحانه وتعالى- إنّما يقول للشيء كن فيكون، وقد شاء لثورة الإمام الحسين-عليه السلام- أن تنتشر بالسّرعة المطلوبة، لذلك عندما سُئل الإمام الحسين-عليه السلام- لماذا يصطحب معه العيال والنّساء وهو يعرف أنّه سينتهي به الأمر إلى الاستشهاد فكان يقول -عليه السلام-: **" لقد شاء الله أن يراني قتيلاً وأن يراهنّ سبايا"(٣)**.

وقد يسأل سائل هنا كيف تتجلّى المشيئة الإلهية هنا؟ وما المغزى من ذلك؟

إنّ الله -سبحانه وتعالى- اصطفى الإمام الحسين -عليه السلام- ليرفع درجته

بالشّهادة إذ جعله سيد شباب أهل الجنة، وقد أبلغه الرّسول الأكرم -صلى الله عليه وآله- أنّه **"يا حسين إنّ لك درجة في الجنة لا تنالها إلا بالشّهادة"(٤)**.

وطبعاً الهدف ليس الشّهادة من أجل الشّهادة وإنّما من أجل تصحيح الانحراف الذي أصاب الرّسالة الإسلامية في الصّميم خاصة مع تولّي يزيد -لعنة الله عليه- الحكم، وهو كما عبّر عنه الإمام الحسين -عليه السلام- **"يزيد رجل فاسق، شارب للخمر، قاتل للنّفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله"(٥)** فكانت ثورته المباركة التي انتهت باستشهاده، فهل ينتهي كل شيء هنا؟ وهل تتوقّف المسيرة؟

هنا تتجلّى المشيئة الإلهية ليبرز الهدف الذي من أجله شاء الله -سبحانه وتعالى- أن يرى أهل بيت الإمام الحسين -عليه السلام- سبايا ولم يبقَ من أهل بيته سوى النّساء والأطفال والإمام زين العابدين-عليه السلام-؛ لأنّه كان في حال مرض شديد، ولكي يحفظ الذّرّيّة فلا ينقطع نسل الحسين -عليه السلام- والذي منه الأئمة الأطهار المعصومون-عليهم السلام-.

ومن سيقود هذه القافلة؟

الإمام الحسين -عليه السلام- أوصى أخته العقيلة زينب -عليها السّلام- بالعيال وحفظ الأطفال من بعد استشهاده، فكانت خير من حفظ الوصية.

شاء أعداء أهل البيت أن يتابعوا كيدهم وغيّهم والإيغال في تعذيب من تبقّى من أهل بيت الإمام الحسين -عليه السلام- من نساء وأطفال، فأركبوهم على الجمال الضّامرة دون غطاء، تحت الشّمس الحارقة، وجابوا بهم القِفار والفيافي، وقطعوا بهم بلدان عدّة من كربلاء في العراق إلى بلاد الشّام.

هذا ما فكّر به الأعداء، لكن الذي حدث هو أنّ الله-تعالى- يتم مشيئته فيما يشاء، إذ أنّ الله -سبحانه وتعالى- حوّل هذا الأمر لمصلحة ثورة الإمام الحسين -عليه السلام- كما حدث مع النّبي موسى -عليه السلام- عندما جمع فرعون الناس في يوم الزّينة

ليشهدوا هزيمة النّبي موسى -عليه السلام- على يد السّحرة، فإذا بعصا النبي موسى -عليه السلام- وبقدرة إلهية تلقف عصيّهم وحبالهم وينتهي الأمر بأن يؤمن السّحرة والناس بمعجزة النّبي موسى -عليه السلام-.

وهكذا كانت السّيّدة زينب -عليها السلام- على طول مسار ذلك الطّريق الطّويل والشّاق والمليء بالآلام والأوجاع، وحيث كان النّاس يتجمهرون "للفرجة"، كانت -عليها السلام- تحدّث الناس عن السّبب الذي خرج لأجله الإمام الحسين، لماذا ثار، ولماذا قُتل، تُحدّثهم عن كل ما جرى من ظلم في حقّهم، لم تنكفئ على نفسها ودموعها وآلامها، لم تُقعدها المصائب وقد ذبح أمامها كلّ الأبناء والأخوة والأقارب، ومثل أخيها الحسين -عليه السلام- الذي قال الرّاوي فيه "ما رأيت مأسوراً قط أشدّ رباطة جأش من الحسين -عليه السلام- وقد قتل ولده وأخوته وأصحابه" يواجه بهذه الصّلابة وهذا العنفوان.

هكذا هي أيضاً سيدتنا ومولاتنا زينب -عليها السلام- قويّة، وقد أدهشت النّاس بفصاحتها وبلاغتها، وقد نوّر الله -سبحانه وتعالى- قلبها بالعلم والإيمان، وهي بطلة كربلاء، هي البليغة، ووليدة الفصاحة، وسر أبيها، فقد قال حذيم الرّاوي يصف ردود فعل الناس الأوّلية عندما كانت القافلة تمرّ بينهم وتتحدّث إليهم العقيلة الهاشميّة: **"رأيت الناس حيارى قد ردوا أيديهم الى أفواههم، فما وجد غير شيخ يبكي ونساء تصيح، وشباب مذهول، واضطربت الأمور"**(٦).

هذا الوصف يعني أنّ السّيدة زينب -عليها السلام- استطاعت أن تؤثّر في النّاس تأثيراً بليغاً، حرّكت فيهم المشاعر، وحرّكت فيهم التّساؤلات، وفتّحت عيونهم على أمور الثّورة التي قام من أجلها الإمام الحسين -عليه السلام-، فلقيت التّعاطف الكبير من الناس.

المحطة الأولى أثناء هذه الرّحلة الطّويلة والشّاقّة كانت في قصر الإمارة في الكوفة

عند عبيد الله ابن زياد -لعنة الله عليه- حيث أراد هذا اللعين أن يشمت بأهل البيت- عليهم السلام- وما جرى عليهم من ويلات في كربلاء على يد زبانيته فتوجّه بالحديث إلى السّيّدة زينب -عليها السلام- قائلاً:

"الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم"

السّيدة زينب -عليها السلام- لم تكن ترغب بمخاطبته إلّا أنّ الموقف كان يتطلّب منها ممارسة دورها الرّسالي في الدّفاع عن ثورة أخيها الحسين-عليه السلام- وأيضاً كان عليها العمل من أجل تمزيق هالة السّلطة والقوّة التي أحاط بها ابن زياد نفسه، فردّت -عليها السلام- قائلة:

"الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد-صلى الله عليه وآله- وطهّرنا من الرّجس تطهيراً إنّما يُفتضح الفاسق ويكذّب الفاجر، وهو غيرنا يا ابن مرجانة.."(٧) .

لقد هزّت كيان ابن زياد بهذا الرّد الشّجاع القوي، مع أنّها تمرّ بأفظع مأساة وأسوأ حال، فأراد ابن زياد أن يتشفّى بها فقال لها:

"كيف رأيتِ صنع الله بأهل بيتك؟"

فما كان من السّيّدة زينب -عليها السلام- إلّا أن قالت بكلّ بسالة وصمود:

"ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ. ثكلتك أمك يا ابن مرجانة !!"(٨).

في مثل هذا الموقف يبرز أهمّية الدّور الذي لعبته هذه السّيدة العظيمة، فهي قالت كلمة حق في وجه سلطان جائر، وهذا هو أفضل الجهاد، دون أن تخاف من سطوته، أو يردعها رادع عن هذه المواجهة، ومن ثم فإنّنا هنا نرى أنّها بواسطة كلمة الحق هذه بلّغت عن أحقّيّة الثّورة التي قام بها أخوها الإمام الحسين -عليه السلام-، أي أنّها أظهرت وأعلمت الجميع بأحقّيّة موقفهم، وأحقّيّة الثّورة التي قامت في وجه الظّلم

والطّغيان.

بهذا الموقف العظيم تجاوزت السّيّدة زينب بإرادتها وبصيرتها النّافذة كل ما أحاط بها من آلام المأساة ومظاهر قوّة العدو الظّالم، وواجهته بالتّحدّي وجهاً لوجه أمام أعوانه وجمهوره، معلنة أنّه لا ينتابها أي شعور بالهزيمة والهوان، وأنّ ما حدث لأسرتها شيء جميل بالنّظر للرسالة التي يحملونها وما حدث هو استجابة لأمر الله -تعالى- الذي فرض الجهاد ضد الظّلم والعدوان، وهي واثقة من أنّ المعركة قد بدأت ولم تنتهِ.

فكان ردّها هذا قاسياً جداً على هذا الطّاغية حيث استطاعت -عليها السلام- بهذا الرّد أن تسقط هيبته الزّائفة في أعين الحاضرين جميعاً، كيف لا وهي ابنة علي الكرار- عليه السلام-، لا تفر أبداً.

من هنا برز الدّور الإعلامي الرّائد لهذه السّيدة العظيمة التي علّمتنا كيف نواجه الطّغاة بالكلمة التي هي أشد من السّيف، فالله -سبحانه وتعالى- عندما ذكر في القرآن الكريم " **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ**"(٩) قال بأفواههم ولم يقل بسيوفهم، للتدليل على أهمّيّة سلاح الكلمة في أية مواجهة إذا أحسن استغلاله، فكانت خير من استعمل الكلمة في موضعها الصحيح؛ لأنّها عالمة غير معلّمة، ولذا استطاعت أن تؤثّر في الرّأي العام، وتهز عرش الدّولة الأمويّة بعد حدوث المصيبة مباشرة.

استطاعت السّيّدة زينب -عليه السلام- من خلال مواقفها الشّجاعة، وكلماتها المدروسة أن تحفظ ثورة الإمام الحسين -عليه السلام-، وأن تحفّز النّاس على استكمالها من أجل هدم أركان الباطل وإعادة الحياة للتعاليم الإسلامية الصّحيحة التي ينبغي أن تنتشر بين الناس.

من هنا ندرك أهمّيّة الدّور البارز الذي أدّته السّيّدة زينب -عليها السلام- التي هي قدوتنا، ونعمل على الاحتذاء بها، فالمرأة تلعب دوراً مهمّاً وأساسيّاً في هذا المجتمع، خاصة في مجتمعنا نحن أهل المقاومة، لأنّنا نملك في تاريخنا امرأة مثل زينب -عليها

السلام-، تعلّمنا كيف نودّع شهداءنا بكلمة اللهم تقبّل منّا هذا القربان، تعلّمنا كيف نحافظ على تعاليم الدّين، وكيف نواجه الطّغاة بالكلمة والموقف دون خوف أو وجل.

الكلمة هي الأساس والسّلاح في أي موقف إعلامي، ونحن نتعلم من سيّدتنا زينب -عليها السلام- كيف نستخدم هذا السلاح، فنسير على خطاها بكلّ عزم وثبات.

فكل امرأة يمكن أن تؤدي دوراً ما ضمن حدود إمكانياتها الثّقافية والفكرية والعلمية التي تحصّلت عليها، فتمارس هذا الدّور انطلاقاً من الدّروس التي أعطتها السّيّدة زينب -عليها السّلام-، فتساعد على بناء هذا المجتمع وحمايته من كل ما يتربص به. فعلينا أن تكون أعيننا مفتوحة على كل ما يُقال، وأن نعرف كيف نستخدم سلاح الكلمة التي تساعد في حفظ دماء الشّهداء الأبرار الذين رووا الأرض بدمائهم الزّكيّة كل واحدة تستطيع أن تلعب دوراً معيناً في نشر تعاليم الإسلام، وحفظ الدّعوة الإسلامية وحفظ ثورة الإمام الحسين -عليه السلام- الذي علّمنا أن يكون شعارنا دائماً "هيهات منّا الذّلة"، وأن لا نرضخ للظّالمين ولا للمفترين، فكل واحدة تستطيع أن تحفظ الإسلام المحمّدي الأصيل.

السيدة زينب -عليها السلام-، هي بطلة كربلاء، حافظة العيال والأطفال، مبلّغة رسالة أخيها الحسين -عليه السلام-، وممرّضة ابنه العليل علي السّجاد -عليه السلام-، فجمعت بذلك دور الأمومة، ودور التّبليغ ونشر الرّسالة، ودور التّمريض، ودور المحامي عن العيال، فكانت القدوة التي تعطينا في كل خطوة المثل الأعلى، لنتعلّم منها كيف يمكن للمرأة أن تلعب كل تلك الأدوار المشرقة والمشرّفة، التي تساهم في المحافظة على المجتمع والدّين والقيم، ويكون لها اليد الطّولى في بنائه.

الهوامش:

(١) بحار الأنـوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ٤٥ / ص ١٣٨.

(٢) سورة الاحزاب/ الآية:٣٣.

(٣) المجلسي/ المصدر السابق/ / ج ٤٤ / ص ٣٦٤.

(٤) المصدر نفسه / ج٤٤/ ص٣١٣

(٥) المصدر نفسه/ ج٤٤/ ص٣٢٥

(٦) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ١٦٤.

(٧) المصدر نفسه / ج٤٥/ ص١١٥.

(٨) المصدر نفسه/ ج٤٥/ ص١١٦.

(٩) سورة التوبة/ الآية:٣٢.

السلام عليك يازينب الكبرى

دور السّيدة زينب-عليها السلام- في كربلاء

الشيخ حيدر حسن / خطيب حسيني

حياة السّيدة زينب -عليها السلام- كانت بمثابة إعداد وتهيئة للدّور الأكبر الذي ينتظرها في هذه الحياة.

فالسّنوات الخمس الأولى من عمرها والتي عايشت فيها جدّها المصطفى-صلى الله عليه وآله- وهو يقود معارك الجهاد لتثبيت أركان الإسلام ويتحمل هو وعائلته ظروف العناء والخطر.

والأشهر الثّلاثة التي رافقت خلالها أمّها الزّهراء-عليها السلام- بعد استشهاد الرّسول -صلى الله عليه وآله- ورأت أمّها تدافع عن مقام الخلافة الشّرعي، وتطالب بحقّها المُصادر وتعترض على ما حصل بعد النبي-صلى الله عليه وآله- من تطوّرات، وتصارع الحسرات والآلام التي أصابتها.

والفترة الحسّاسة الخطيرة التي عاصرت فيها حكم أبيها علي-عليه السلام- وخلافته وما حدث فيها من مشاكل وحروب.

ثم مواكبتها لمحنة أخيها الحسن-عليه السلام- وما تجرّع فيها من غصص وآلام، فكل تلك المعايشة للأحداث والمعاصرة للتطورات.. كانت لإعداد السّيّدة زينب- عليها السلام- لتؤدّي امتحانها الصّعب ودورها الخطير في نهضة أخيها الحسين -عليه السلام- بكربلاء.

فواقعة كربلاء تُعتبر من أهم الأحداث التي عصفت بالأمّة الإسلامية بعد رسول الله -صلى الله عليه وآله-.

وكان للسّيّدة زينب -عليها السلام- دور أساسي ورئيسي في هذه الثورة العظيمة، فهي الشّخصيّة الثّانية على مسرح الثّورة بعد شخصية أخيها الحسين -عليه السلام-.

كما أنّها قادت مسيرة الثّورة بعد استشهاد أخيها الحسين -عليه السلام- وأكملت ذلك الدّور العظيم بكل جدارة.

لقد أظهرت كربلاء جوهر شخصية السّيدة زينب -عليها السلام-، وكشفت عن

عظيم كفاءاتها وملكاتها القيادية، كما أوضحت السّيّدة زينب للعالم حقيقة ثورة كربلاء، وأبعاد حوادثها..

• السيدة زينب -عليها السلام- قدّمت ولديها إلى ميدان الطف حيث قال اللّعين عمر بن سعد: ما أعجب محبة هذه الأخت لأخيها ترسل فلذتي كبدها إلى الميدان.

• إنّ للسيدة زينب -عليها السلام- موقفاً بعدما انتهى القتال حيث كانت السّيدة العظيمة تشاهد المجزرة وفي عينيها لوعة حارقة، ويخيّم على آل الرّسول الحزن والجزع هذا رأس الحسين على رمح طويل وهو صريع بالميدان فهنا تبدأ مهمّة عقيلة الهاشميين لترفع راية الرّسالة بعد أخيها الشّهيد وتُعيد للإسلام واقعه، حيث شقّت صفوف الجيش الأموي وقد جلّلها الأسى والمصاب حتى وقفت على جسد أخيها الحسين وجلست عنده ومسحت عنه الدّماء الجامدة عليه وأزالت عنه بقايا السّيوف وركام الرّماح والنّبال، ثم رفعت يديها، ورمقت السّماء بناظريها، وقالت: "اللهمّ تقبّل منّا هذا القربان، ففي سبيل دينك ضحّى بنفسه، وأهل بيته وأصحابه". فبهذا القول تُجسّد البطلة مفهوم الفداء من أجل العقيدة في أذهان الحفنة الطّائشة التي حاربت سيّد شباب أهل الجنة حفيد الرّسول المصطفى -صلى الله عليه وآله- أخيها الحسين -عليه السلام-.

• وللسيدة الصّابرة موقف مع ابن أخيها الإمام علي بن الحسين السجاد -عليه السلام- حينما أراد عمر بن سعد - في اليوم الحادي عشر من محرم - اقتياد السّبايا إلى الكوفة كان الإمام السّجّاد-عليه السلام- من شدّة ما ألمّ به من مرض لا يقوى على ركوب النّاقة، لذلك قاموا بشدّ رجليه من أسفل بطن النّاقة. وعندما اقتيد السّبايا من وسط ساحة المعركة رمت النّسوة والصّبية بأنفسهنّ على جثث الشّهداء أمّا الإمام السّجاد -عليه السلام- فلم يستطع فعل ذلك، ويقول في هذا الشّأن: فكادت نفسي تخرج فتبيّنت ذلك عمّتي زينب ... لذلك عندما رأت الإمام السجاد -عليه السلام-

يوشك أن يلفظ أنفاسه، تركت جثث الشّهداء وتوجّهت إليه، وذكرت له بعض الأمور – والتي طبعا هو أعلم بها– حتى هدأ قليلاً. وقد أخبرت العقيلة زينب –عليها السلام– ابن أخيها –عليه السلام– بأن " لا يجزعنك ما ترى فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله –صلى الله عليه وآله– إلى جدّك وأبيك وعمّك –عليه السلام–أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون في أهل السّموات إنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها وينصبون لهذا الطّف علماً لقبر أبيك سيّد الشّهداء –عليه السلام– لا يدرس أثره ولا يعفى رسمه على مرور الليالي والأيام وليجتهدنَّ أئمة الكفر وأشياع الضّلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد إلا ظهوراً وأمره إلا علوّاً " .

• ولبنت علي المرتضى–عليهما السلام– وقفة مع أهل الكوفة وذلك عندما ساق القوم حرم رسول الله –صلى الله عليه وآله– كما تُساق الأسارى حتى بلغوا الكوفة خرج الناس ينظرون إليهم وجعلوا يبكون ويتوجعون، وعلي بن الحسين مريض، مغلول مكبّل بالحديد، قد نهكته العلة، فقال: ألا إنّ هؤلاء يبكون ويتوجعون من أجلنا، فمن قتلنا إذن؟ فالسيدة زينب –عليها السلام– أومأت إلى الناس أن اسكتوا ! فارتدّت الأنفاس وسكنت الأجراس، فقالت السيدة زينب –عليها السلام–: " الحمد لله والصّلاة على أبي محمد رسول الله، وعلى آله الطّيبين الأخيار آل الله. وبعد يا أهل الكوفة ! ويا أهل الختل، والخذل والغدر ! أ تبكون ؟ فلا رقأت الدّمعة، ولا هدأت الرّنة، إنّما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا .أتتخذون إيمانكم دخلا بينكم ؟.ألا وهل فيكم إلا الصلف (الوقاحة) والطنف (فساد الأخلاق)، والشنف (الكراهة)، والنطف (النجاسة) وملق الاماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنة او كقصة (الجص) على الملحودة !ألا ساء ما قدّمت أنفسكم، إن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتبكون وتنتحبون؟ أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد

ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدا، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم الأنبياء وسيد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم ومفزع نازلتكم، ومنار حجّتكم ومدره (كمنبر المقدم من في اللسان) ألسنتكم ألا ساء ما تزرون وبعداً لكم وسحقاً! فلقد خاب السّعي وتبت الأيدي، وخسرت الصّفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذّلّة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم، وأي دم سفكتم وأي كريمة له أبرزتم، وأي حريم له أصبتم، وأيّ حرمة له انتهكتم؟ " لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السّموات يتفطّرن منه، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّا " إنّ ما جئتم به لصلعاء، عنقاء، سوءاً فقماء، خرقاء، شوهاء كطلاع الأرض ملاء السماء. فأعجبتم أن قطرت السّماء دماً ؟ ولعذاب الآخرة أشد وأخزى وأنتم لا تنصرون، فليستخفنكم المهلُ فإنه عزوجل لا يحفزه البدار، ولا يخاف فوت الثّارُ كلا إنّ ربّكم لبالمرصاد فترقّبوا أوّل النّحل (أي أوّل سورة النّحل – أتى أمر الله) وآخر الصّاد (أي آخر سورة الصاد – ولتعلمن نبأه بعد حين)(١).

• وللسيدة المجاهدة زينب -عليها السلام- موقف آخر هو عندما أدخل عيال الحسين -عليه السلام- على ابن زياد، فدخلت زينب أخت الحسين في جملتهم متنكّرة، فمضت حتى جلست ناحية من القصر وحفّ بها إماؤها، فقال ابن زياد: من هذه التي انحازت ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية وثالثة فقال له بعض إمائها: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله -صلّى الله عليه وآله-، فأقبل عليها ابن زياد لعنه الله وقال: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم. فقالت زينب: "الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمد -صلّى الله عليه وآله-، وطهّرنا من الرّجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق، ويكذب الفاجر، وهو غيرنا. فقال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك ؟ قالت: كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجّون إليه وتختصمون عنده، فغضب ابن زياد واستشاط، فقال عمرو

بن حريث: إنّها امرأة، والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها.

فقال لها ابن زياد: قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك، فرقّت زينب وبكت، وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت فقال ابن زياد: هذه سجّاعة، ولعمري لقد كان أبوها سجّاعاً. فقالت: ما للمرأة والسجاعة، إنّ لي عن السّجاعة لشغلاً، ولكن صدري نفث بما قلت . وعرض عليه عليّ بن الحسين -عليهما السلام- فقال له: من أنت ؟ قال: «أنا عليّ بن الحسين». قال: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين؟ فقال: «كان لي أخ يسمّى عليّاً، فقتله الناس». قال ابن زياد: بل الله قتله . فقال عليّ بن الحسين -عليهما السلام-: (اللهُ يَتَوفّى الأنفُسَ حينَ مَوتِها).فغضب ابن زياد وقال: بك جرأة لجوابي، وفيك بقيّة للردّ عليّ، أذهبوا به فاضربوا عنقه. فتعلّقت به زينب عمّته وقالت: يا ابن زياد، حسبك من دمائنا، واعتنقته وقالت: والله لا أفارقه، فإن قتلته فاقتلني معه. نظر ابن زياد إليها ساعة وقال: عجباً للرحم، والله إنّي لأظنّها ودّتني قتلتها معه، دعوه فإنّي أراه لما به مشغول، ثمّ قام من مجلسه(٢).

• وعندما سار القوم بحرم رسول الله -صلى الله عليه وآله- من الكوفة إلى الشّام على محامل بغير وطاء، من بلد إلى بلد، ومن منزل إلى منزل كما تُساق التّرك والدّيلم. وعندما وصلوا الشّام ودخلوا برأس الإمام الحسين -عليه السلام- وحرمه على اللعين يزيد بن معاوية، وكان رأس الحسين بين يديه في طست، وجعل ينكث ثناياه بمخصرة في يده ويقول (ليت أشياخي ببدر شهدوا) وذكر الأبيات إلى قوله (من بني أحمد ما كان فعل) فقامت السيدة زينب -عليها السلام-، فقالت: "الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على سيد المرسلين، صدق الله تعالى إذ يقول: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ) أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السّماء، وأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى، إنّ بنا على الله هوانا،

وبك عليه كرامة؟ وإنّ ذلك لعظم خطرك عنده، فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حيث رأيت الدّنيا لك مستوسقة (المستوثقة) والأمور متسقة (المنتظمة) وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً ! أنسيت قول الله -تعالى- (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) أمِن العدل يا ابن الطّلقاء تخديرك حرائرك وإمائك، وسوقك بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يحدى بهنّ من بلد الى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والدّني والشّريف، ليس معهنّ من رجالهنّ ولي ولا من حماتهنّ حمي، وكيف ترجى المراقبة ممن لفظ فوه أكباد السّعداء، ونبت لحمه بدماء الشّهداء؟ وكيف لا يستبطأ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف (البغض) والشنئان(العداوة) والاحن والأضغان؟ ثم يقول يزيد متأثّم ولا مستعظم:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لاتشل .

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله تنكتها بمخصرتك؟ وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرّيّة آل محمّد، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب؟ أتهتف بأشياخك؟ زعمت تناديهم، فلَتَردنّ وشيكاً موردهم، ولتودّنّ أنّك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت، أللهم خذ بحقّنا وانتقم ممّن ظلمنا، واحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حُماتنا، والله ما فريت إلّا جلدك ولا جززت إلّا لحمك، ولتردنّ على رسول الله بما تحمّلت من سفك دماء ذريته وانتهاك حرمته في لحمته وعترته وليخاصمنك حيث يجمع الله -تعالى- شملهم ويلم شعثهم ويأخذ لهم بحقهم (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) فحسبك بالله حاكماً وبمحمد خصماً وبجبرائيل ظهيراً وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلاً وأيّكم شر مكاناً وأضعف جنداً ولئن جرت عليّ الدّواهي مخاطبتك فإني لاستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك واستكبر توبيخك

لكن العيون عبرى والصّدور حرّى ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء فتلك الأيدي تنطف (تقذف بما تلطخت) من دمائنا وتلك الأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطّواهر الزّواكي تنتابها العواسل (المتمايلة من الذئاب والضباع) وتعفوها الذئاب وتؤمها الفراعل (جمع الفرعل ولد الضبع) فلئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك وإنّ الله ليس بظلام للعبيد فإلى الله المشتكى وعليه المعوّل فكِد كيدك، واسع سعيك وناصب جهدك . فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا، ولا تدرك امدنا ولا ترخص عنك عارها ولا تغيب منك شنارها (أقبح العيب) فهل رأيك إلا فند !(الخطأ في الرأي) وأيّامك إلا عدد! وشملك إلا بدد! يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين . فالحمد لله الذي ختم لأوّلنا بالسّعادة والرّحمة، ولآخرنا بالشّهادة والمغفرة وأسال الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد وحسن المآب، ويختم بنا الشّرافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير "(٣).

لاشك أنّ خطبة السيدة زينب -عليها السلام- قد فضحت يزيد عليه اللعنة وهي تتكلّم بكل فصاحة وطلاقة دون أن ترتعد فرائصها أو ينتابها الرّعب أمام هذا الحاكم الظّالم وهو محاط بجلاوزته وحاشيته.

ومرَّغت كبرياءه بالوحل وفضحت مخططاته التي استهدفت الإسلام ووقفت ابنة علي كاللبوة في مجلس الظّالمين، إنّ هذه الكلمات النّارية التي رددتها بنت الرسالة أماطت اللثام عن الوجه الحقيقي للأمويين، وكشفت للناس زيفهم وكفرهم، وعرفوا الناس الحقيقة المرة، هنا انعكس الأمر على يزيد وتحوّل المجلس إلى ساحة محاكمة لجرائمه وفوجئ يزيد بهذا الانقلاب المفاجئ وفقد السيطرة على نفسه ولم يعد يدري كيف يواجه هذا الأمر فكان يتهرب من الموقف بقطع الكلام على السيدة زينب -عليها السلام- إلا أنّها كانت تسمو أكثر فأكثر..

من خلال تلك المواقف والأحداث تجلّت لنا كفاءات السّيدة زينب-عليها السلام- وعظمة شخصيتها، فهي حمت الثورة الحسينية بعد الإمام الحسين-عليه السلام- وبعدها جاءت لتدلي إلينا بدروسها العظيمة، فدروس خطبها -عليها السلام- تعلّمتها من جدّها وأبيها وأمها وأخويها-صلوات الله عليهم- ومن تطلعها التاريخي.

فكانت نعم الأخت المواسية المساندة لأخيها الحسين -عليه السلام- فقد شاركت أخاها في ثورته العظيمة الخالدة، وقادت بعده ركب النّهضة المقدّسة.

تلك هي ابنة علي وفاطمة السيدة زينب -عليهم السلام-.

الهوامش:

(١) بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ/ ج ٤٥ / ص ١١٦.

(٢) المصدر نفسه/ ج٤٥/ ص١١٨.

(٣) المصدر نفسه/ ج٤٥/ ١١٩.

الجانب البلاغي في خطابات السّيّدة زينب-عليها السلام-

السيد علي الموسوي/ أستاذ لغة عربية

الجانب البلاغي في خطابات السّيّدة زينب-عليها السلام-

بلاغة الموقف وبلاغة الكلمة

كما أنّ الله -تبارك وتعالى- نوّه بتعليم البيان بعد خلق الإنسان (١)، وأنّ النّبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- أشار إلى سحر البيان في مأثوره: (إنّ من البيان لسحراً وإنّ من الشّعر لحكمة) نرى تأثير الكلام ودوره في العالم خاصة إذا امتزج بالفصاحة والبلاغة.

ومن أروع الكلام الذي تجلّت آثاره في النّاس وسبّب تغييراً أساسيّاً في المجتمع وغيّر الآراء حيال موضوع ذي أهمّيّة في ذاك الأوان، هو كلام سيّدة بليغة من بيت النّبوة تبلورت في كلامها رسالة جدّها وبلاغة أبيها وفعلت بالطّغاة مافعلت وجعلتهم عبرة لمن اعتبر إلى يوم الدّين.

إنّ ماحدث بعد عاشوراء كان حركة عظيمة بحيث انقلبت الأمور على عكس ماكان يزعمها الحكّام في الشّام والكوفة، ووجّهت مصير مأساة كربلاء على خلاف تخطيط الجائرين.

لقد كان من أروع ما خططه الإمام الحسين-عليه السلام- في ثورته الكبرى حمله عقيلة بني هاشم وسائر مخدّرات الرّسالة معه إلى العراق، فقد كان على علم بما يجري عليهنّ من النّكبات والخطوب، وما يقمن به من دور مشرّف في إكمال نهضته وإيضاح تضحيته، وإشاعة مبادئه وأهدافه، وقد قُمن حرائر النّبوّة بإيقاظ المجتمع من سباته، وأسقطن هيبة الحكم الأموي، وفتحن باب الثّورة عليه، فقد ألقين من الخطب الحماسيّة ما زعزع كيان الدّولة الأمويّة.

إن سيد الشهداء الحسين--عليه السلام-رفض إلّا أن يصحب معه أهله ليشهد النّاس على ما يقترفه أعداؤه مما لا يبرره دين ولا وازع من إنسانيّة، فلا تضيع قضيته مع دمه في الصّحراء، فيفترى عليه أشدّ الافتراء حين يعدم الشّاهد العادل، على ما جرى بينه وبين أعدائه.

لقد أفسدت زينب أخت الحسين على ابن زياد وبني أمية لذّة النّصر وسكبت قطرات من السّم الزّعاف في كؤوس الظّافرين، وأنّ كل الأحداث السّياسية التي ترتّبت بعد ذلك من خروج المختار وثورة ابن الزبير وسقوط الدّولة الأمويّة وقيام الدّولة العبّاسيّة، ثم تأصل مذهب الشّيعة إنّما كانت زينب هي باعثة ذلك ومثيرته.

وما كل ذلك إلا بسبب معجزة كلام السّيّدة زينب التي جمعت في خطاباتها وإجاباتها بين بلاغة الكلام والموقف، وفصاحة الكلمة والكلام، الكلام الذي يدوّي في آذاننا طنين كلام الإمام علي -عليه السلام- كما نقل عن حذلم بن كثير (وكان من فصحاء العرب) بأنّه أخذه العجب من فصاحة زينب وبلاغتها، وأخذته الدّهشة من براعتها وشجاعتها الأدبية، حتى أنّه لم يتمكن أن يشبّهها إلا بأبيها سيّد البلغاء والفصحاء فقال: كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين.

وقد أشار إلى كلامها ومدى تأثيره المستشرق الألماني ماريين حيث يقول: «أنا أتعجّب من تدبير الحسين واستشرافه للمستقبل في مرافقة النّساء والأطفال لهذا السّفر الخطر، لأنّ ما فعلته زينب في الشام غيّر الأوضاع بشكل كامل بحيث أصبحت الشّام التي كانت مشهورة بسبّ عليّ وأبنائه، مادحة لأهل بيت عليّ، وأقيمت في أنحائها مجالس ومحافل لذكر مصائب آل علي وتبيين مناقبهم.

هذا في المستقبل القريب، وأمّا في المستقبل البعيد فلا شك بأنّ خطبة زينب المنقطعة النظير، خلّدت عاشوراء، وأبلغت نِداء الحسين إلى العالم، وأنجته من إعلام العدو المسمومة وجعلت النّهضة تستمر باستمرار الحياة.

فلنبحث عن هذه البلاغة العلويّة التي جرت كالبحر الهادر على لسان فاطمي في فصلين.

الأوّل: بلاغة الموقف أو الكلام المطابق لمقتضى الحال.

الثّاني: بلاغة الكلمة أو التّصوير والجمال الفنّي في خطابات زينب -عليها السلام-.

أولاً: بلاغة الموقف:

إن نظرنا إلى البلاغة كما يعرّفها أصحابها: بأنّها كلام يطابق مقتضى الحال، وفيه يراعى المتكلم حال المخاطب والظّروف التي تحيط به، نرى الخطابة الزّينبيّة في ذروتها حين تخطب أمام الفئات المختلفة من العوام إلى الحكّام، أو تجيب بإجابات مفحمة مقنعة ومسكتة.

نشاهدها في مشاهد عديدة: مرّة بعد واقعة عاشوراء، حيث تواجه الجثمان المقدّس وقد مزّقه البغاة برماحهم، وأنّ المنظر لمدهش ومؤلم جدّاً، تهلع منه القلوب، وتذاب الأفئدة، وتذرف الدّموع، نراها تقف أمامه صامدة صابرة ترمق السّماء بطرفها قائلة: **"اللهم تقبّل منّا هذا القربان"**.

يكاد العقل ينذهل لهذا الموقف، ويحجم عن تفسيره، أهو الإيمان الثابت المستأصل في النّفس، المستغرق للحواس والمشاعر، أم هو الانصهار في بوتقة الإسلام.

أو الرضا بمكروه القضاء والصّبر في أعلى صوره وأسمى غاياته أو اجتمعت هذه كلّها عندها، فغدت ملاكاً سماويّاً في أرض البطولات.

ثم تتجه إلى جدّها تدعوه بصوت حزين وقلب كئيب، مبيّنة مكانة الحسين-عليه السلام- من الرّسول ومذكّرة تعلّقه بالنّبي -صلى الله عليه وآله- بكلمات موزونة تدلّ على عفويّة بلاغتها في تلك الحالة المأساوية، الكلام الذي امتزج بالعاطفة والنداء:

" **يامحمداه (صلى عليك مليك السماء) هذا حسينك بالعراء، مرمّل بالدّماء، مقطّع الأعضاء، وبناتك سبايا، إلى الله المشتكى وإلى محمد المصطفى-صلى الله عليه وآله-"(٢)**

وتُنسب إليها هذه الأبيات مخاطبة الرّسول الكريم:

هذا الذي قد كنت تلثم نحره أمسى نحيراً من حدود صبائها

من بعد حجرك يارسول الله قد ألقى طريحاً في ثرى رمضائها

لفّ الخبر أرجاء الكوفة وتراكض النّسوة حول السبايا يستطلعن أوضاعهن، وتجمّعن

حول عقيلة بني هاشم، ورأت الوقت قد حان لأن تُفجّر الموقف وتكشف حقيقة الأمويين.

فأومأت إلى النّساء فسكتن وارتدّت الأنفاس، ليسمعن ما تقوله السّبيّة وتقاطر الرّجال يسمعون زينب بنت علي... وهدرت كأنّها البركان.(٣).

وها نحن، نشاهدها أمام الكوفيين الذين دعوا الحسين وعاهدوا على نصرته والذّبّ عنه، لكنهم نقضوا العهد وتركوه وحيداً وقتلوه، ثم راحوا ينوحون ويبكون... جعلت زينب تؤنّبهم وتطرق على عقولهم الجامدة، وضمائرهم النّائمة بشدّة وصلابة، ولا تبدي أمامهم الحزن والبكاء، بل ترى أنّهم مستحقّون للعويل والبكاء بهذه العبارات:

يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والخذل، أتبكون وتنتحبون؟ أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، كلّ ذلك بانتهاككم حرمة ابن خاتم الأنبياء وسيّد شباب أهل الجنة...

إلى أن تصوّر أحوالهم السّيّئة وتقرعهم بالكلمات اللّائمة وتعرّفهم زيف إسلامهم وخذلان عاقبتهم قائلة:

"أفعجبتم أن مطرت السماء دما، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون".

ولسنا الآن بصدد إحصاء آثار هذه الخطابة في قصر ابن زياد، أو في خواص الناس وعامّتهم، ومدى تأثيرها في المستقبل من حركة التّوابين الى الحركات الثّورية الأخرى حتى عصرنا الرّاهن.

ولا شكّ أنّ تلك الخطابة أثارت الألم والنّدامة وهزّت الضّمائر وكشفت الغطاء عن العيون الغارقة في الدّنيا والعمياء عن الحقيقة من تلك البرهة الى يومنا هذا.

ومن بلاغة الموقف في مشهد آخر إذا ذهبوا بآل البيت أسارى الى الطّاغية الذي كان يجلس متكبّراً فخوراً ينظر الى قافلة الأسرى بتحقير، واستصغار وهي -سلام الله عليها- تدخل دامية القلب، مجروحة الفؤاد، باكية الطّرف من تلك الذّكريات المؤلمة والكوارث القاتلة، وقد أحاط بها أعداؤها من كل جهة، ودار عليها حسّادها من كل

صوب.

فبدأت بالكلام غير مكترثة بهيبة مُلكه ولا معتنية بأبّهة سلطانه، تستهزأ بجبروت الملك وانتصاره الوهمي، وترمي جذور ما بنيت عليه أفكاره، وترى الكرامة والعزّة غير ما يراه، والذّلة والهوان غير ما يتصوّر، وبهدمها هذا الأساس المادّي المشرف على النّار، وتهيء الأرضية لبناء أساس على التقوى والقيم الإسلامية قائلة:

أظننت يا يزيد حين أخذت علينا بأقطار الأرض وآفاق السّماء فأصبحنا نُساق كما تُساق الأسارى أنّ بنا على اللّه هوانا وبك عليه كرامة، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده؟(٤).

ثم تواصل وهاهنا زينب تحطّم وتهدّم قصره العنكبوتي وتكسّر كبرياءه وجبروته وتقض مضجعه بكلمات تبدي عن شجاعتها وجسارتها العلوية أمام الطّاغوت، وتستعمل ألفاظاً لاذعة مملوءة بالاستصغار والإذلال:

شمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان فرحا حين رأيت الدّنيا لك مستوثقة والأمور متسقة(٥).

وما أجمل كلامها حين تنسب الحكم والخلافة الإلهية إلى أهلها وتراه غاصباً في مدة قصيرة دنيوية، وفي الحقيقة تُصوّر نفسها حاكماً ويزيد أسيراً أمامها (فهي تخاطب يزيد معلنة للأمة أنّ هذه الدّولة والكيان الإسلامي إنّما أشادته سيوف بني هاشم وتضحيات آل الرّسول بالدّرجة الأولى) حين صفا لك ملكنا وسلطاننا (فأهل البيت هم القادة الحقيقيون لهذه الأمّة وهم الأولى بالسّلطة والحكم)حيث تقول:

حين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً مهلاً لا تطش جهلاً، أنسيت قول اللّه تعالى: (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)(٦).

فهذا الموقف الرّهيب الذي وقفت به السّيّدة الطّاهرة مَثّل الحقَّ تمثيلاً وأضاء إلى الحقيقة لطلابها سبيلاً، وأفحمت يزيد وأصحابه بذلك الأسلوب العالي من البلاغة، وأبهتت العارفين منهم بما أخذت به مجامع قلوبهم من الفصاحة، فخرست الألسن وكمّت الأفواه وصمّت الآذان وكهربت تلك النّفس النّورانية القاهرة منها -عليها السلام- تلك النّفوس الخبيثة الرّذيلة من يزيد وأتباعه بكهرباء الحق والفضيلة حتى بلغ به الحال أنّه صبر على تكفيره وتكفير أتباعه، ولم يتمكّن من أن ينبس ببنت شفة بقطع كلامها أو بمنعها من الاستمرار في خطابتها، وهذا هو التّصرّف الذي يتصرّف به أرباب الولاية متى شاؤوا أو أرادوا، بمعونة الباري -تعالى- لهم وإعطائهم القدرة على ذلك وما أبدع ما قاله الشّاعر الجليل السّيّد مهدي بن السيد داود الحلي في وصف فصاحتها وبلاغتها من قصيدة:

ما خطبت إلا رأوا لسانها ... أمضى من الصمصام في خطابه

وجلببت في أسرها آسِرَها ... عاراً رأى الصغار في جلبابه

والفصحاء شاهدوا كلامها ... مقال خير الرّسل في صوابه

وفي حين يتبختر يزيد بانتصاره على أهل البيت-عليهم السلام-، ويظّن أنّه كسب المعركة لصالحه ووسائل إعلامه تكرر هذا الوهم على مسامع الناس، لكن العقيلة زينب تنسف أوهامه وتسفّه أحلامه، وتقرّر أمام مجلسه الحاشد أنّه قد تلطّخ بأوحال الهزيمة وسقط في حضيض الهوان، وإن تظاهر بالنّصر وتراءى له الظّفر.

إنّها تتحدّى يزيد في أن يتمكّن من تحقيق هدفه بطمس خطّ أهل البيت-عليهم السلام-، مهما جنده من قواه واستخدم من قدراته **"فكِد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا"** فخطّ أهل البيت-عليهم السلام- يمثّل الحقّ والعدل، وتجسّد الوحي الإلهي وسوف تبقى البشرية متطلّعة

للحقّ والعدل وسوف يُظهر الله دينه على الدين كله.

لقد جمعت بين فنون البلاغة وأساليب الفصاحة، وبراعة البيان وبين معاني الحماسة وقوّة الاحتجاج وحجّة المعارضة والدّفاع في سبيل الحرية والحق والعقيدة، بصراحة هي أنفذ من السّيوف إلى أعماق القلوب وأحدّ من وقع الأسنّة في الحشا والمهج في مواطن القتال ومجالات النّزال، وكان الوثوب على أنياب الأفاعي، وركوب أطراف الرّماح أهون على يزيد من سماع هذا الاحتجاج الصّارخ الذي صرفت به ربيبة المجد والشّرف في وجوه طواغيت بني أميّة وفراعنتهم في منازل عزّهم ومجالس دولتهم الهرقلية الاستقراطية الكريهة، ثم إنّ هذه الخطبة التاريخية القاصعة لاتزال تنطق ببطولات الحوراء الخالدة وجرأتها النّادرة، وقد احتوت النّفس القويّة الحسّاسة الشّاعرة بالمثالية الأخلاقية الرّفيعة السّامية وسيبقى هذا الأدب الحي صارخاً بوجوه الطّغاة على مدى الدّهر وتعاقب الأجيال وفي كلّ ذكرى لواقعة الطّف الدّامية المفجعة).

هذا يشير إلى الجانب البلاغي في الخطاب، وما نراها أقلّ منها في بلاغة الجواب حين تواجه النّكايات والكلمات السّيّئة والمؤذية من العدوّ الحاكم، فكأنّها هي المنتصرة حين تجيب ابن زياد في كلامه اللامز: **كيف رأيتِ صنع الله بأخيك؟**

فأجابته حفيدة الرّسول ومفخرة الإسلام بكلمات الظّفر والنّصر التي كانت تنبعث عن روحها السّامية ويقينها المنبعثة عن الوحي والرّسالة:

والله ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن الفلج ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة".

يا لها من كلمة، وما هي كلمة بل العظمة والألوهية سيقت في ثياب الكلمة

والكلام، وكيف يمكن أن نتصور مصابة بالمصائب الشّاقة العظيمة تجيب بهذه الطمأنة والاستقرار وتشعر بالفوز والغلبة.

أو في موقف آخر حيث ترى إهانة رجل شامي إلى ابنة أخيها، تقف صامدة وتجيب فقيهة عالمة وتصيح بالرّجل: ما ذلك لك ولا لأميرك.

وإذا تواجه إجابة يزيد بأنّ ذلك لي، توجّه له سهاماً من منطقها الفيّاض قائلة:

والله ما جعل ذلك لك إلّا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا.

ثم في جواب إساءته البشعة لأبيها وجدّها تقول:

بدين الله ودين أبي وجدّي اهتديت أنت وأبوك إن كنت مسلماً(٧).

وهكذا تبيّن كثيراً من مقاصدها عبر عبارة موجزة:

١- الإشادة والتّنبيه بمكانة جدّها وأبيها .

٢- تحقير يزيد والتّنبيه على المكان الذي جلس فيه بفضل جدها وهدايته .

٣- الشّك في إسلامه وتثبيت ما قد قالته آنفاً بخروجه عن الإسلام.

ثانياً: براعة الكلمة:

أما الصنائع البلاغية التي استعملتها زينب -عليها السلام- فلا يمكن إحصائها في هذه العجالة ولا يسعنا إلا أن نشير إلى بعض منها حتى نروّي قليلاً من غليلنا.

١- براعة الاستهلال وحسن الختام:

نستهل ببراعة الاستهلال وحسن الختام الصنعتين اللتين تدلان على كفاءة الخطيب وقوّته في انسجام الكلام وتنسيقه، فنراها أوّلاً تبدأ وتختم بالحمد والشّكر وهذا يدلّ على نفسها السّلمية وضبطها جماح النّفس بعدما لاقتها المصائب والتّوتّرات كما يدل على ثباتها واعتقادها بالمسير الذي انتخبته وسلكته بقوّة وسداد ثم تتمسك بالآية التي تبيّن عاقبة المجرمين وتعنّتهم أمام الآيات الإلهية والبدء هذا يهدّم الأفكار

الخبيثة والأوهام التي تورّط فيها يزيد بوجوده كله.

وبهذه الضّربة العنيفة تجعل الجماعة مبهوتين وتنتقل إلى إلقاء كلمتها وإنارة أفكار المدهوشين في ذلك المجلس كما تحسن الختام في تذكارها خلود الوحي وأهل البيت وعدم دوام الحكم للغاصبين حيث تقول:

"فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا، ولا يرحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظّالمين".(٨)

٢- الاقتباس:

من أجدر بالاستناد إلى الآيات القرآنية واقتباسها من سلالة الوحي وابنة التّأويل، فها هي تختار وتؤوّل وتبيّن إما صراحة واستناداً، وإما إشارة واقتباساً.

وتهدّد يزيد بمحضر يوم القيامة أمام حاكم عادل يحاسبه بما فعل وقدّم مشيرة إلى الآية الكريمة (**حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك، وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**)(٩).

وتعتز بربها وتذكره في مواقف أخرى عديدة وتقول: (**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) (١٠).

٣- التّشبيه والاستعارة:

لا شكّ في أنّ الاستعارة والكناية أبلغ من التّصريح وأنّ التمثيل يدني الأمور البعيدة ويلقي الضّوء على المفاهيم ويستشفها.

هذا الفن كما نعلم من الأساليب القرآنية الجميلة واستناد الوحي به خير دليل على أهمّيته في التّبليغ حيث يقول تبارك وتعالى: (**وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**)(١١).

وتوظّف السّيدة زينب هذا الفن في مواقف عديدة، مرّةً حين تخاطب أهل الكوفة

وتشبّههم بالمرأة التي نقضت غزلها من بعد قوة، وتستفيد من تشبيه التّمثيل حيث تشبّه دعوة الكوفيين ومكاتبتهم الحسين بالحياكة ثم تركهم إيّاه وشهر السّيف في وجهه بنقض ما حاكوه وفتقه (وهذا مثلٌ يُضرب لمن لا يقوم على أساس الحكمة في أعماله) قائلة: إنّما مثلكم مثل التي **(نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، تتخذون ايمانكم دخلاً بينكم)، ألا بئس ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط اللّه عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.**

أو تشبههم بالعشب المنبت في المزابل وتستخدم هذا المثل لتصوير واقع حياتهم في جهتين:

أوّلاً: أنّهم تغذوا من الحرام ودخلوا الشّبهات فبطونهم تخمة من أكلها فلا يتمكّنون من نصرة الحق لهذه الخلفيّة.

ثانياً: أنّ هذه النّباتات لوهنها ورخوتها لا يمكنها الصّمود أمام الرّياح ولا تتسن لها المقاومة أمام الحوادث كما كان حال أهل الكوفة حيث كانوا يتراجعون عمّا يعتقدونه بأدنى تطمع أو إرعاب، ثم تشبّههم بالفضة فوق اللحد إشارة إلى ظواهرهم المزيّفة وبواطنهم الخامدة وغير المتحركة.

وفي موقف آخر أمام يزيد تُشبّه فعله بفتق الجرح فنزف الدم وبالتالي الإجهاز على صاحبه بسبب نزف الدم، وتقصد بذلك الضغينة التي أضمرها يزيد وآله على مرّ السّنين فأراد أن يشفي غليله بذلك، وتُخيّب زينب آماله بأنَّ نكأ هذه القرحة يقضي عليه، لأنّ حقده للإسلام والمسلمين دفين ولا يمكن شفاؤه بهذا كما أنّ الجراحة المندملة لا يستأصل شأفته بالفتق وستكون عاقبته الهلاك عاجلاً أو آجلاً.

٤- تصوير المشاهد:

من أجود ما يجذب القلوب إلى خطاباتها البليغة هو حسن الأداء والجمال الفنّي

مثلاً نستمع إلى كلامها هذا:

«فَلَتَرِدَنّ وشيكا مردّهم ولَتَوَدَّنّ أنّك شللت وعميت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت».

فنراها وقد جمعت في هذه العبارة كثيراً من أدوات التّأكيد من النّون واللّام والحروف المشبّهة والتّكرار، ووظّف إيقاعاً ثقيلاً للتهويل وإلقاء صورة صاخبة على يزيد من خلال الموسيقى الممتزجة من التّشديد والمدّ والنّون الثّقيلة، وهذه العبارة دون النّظر إلى معناها تمثّل صاعقة على رأس مخاطبها بسبب تركيباتها المقرعة والشّديدة. أو تستفيد من أسلوب الحصر وطنطنته وقاطعيته لتثبت ما تريده من أعمال النّفوس.

«فوالله ما فريت إلا جلدك وما حززت إلا لحمك».

وفي موضع آخر: **«هل رأيك إلّا فند، وأيامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد؟»**

أمّا القصّة أو فن التّصور فهو من الفنون الممتازة التي حفظت بمكانته منذ خلق الإنسان إلى عصرنا الحاضر واتسعت مجالاته بأشكال متلونة الألوان في العصور المتأخرة من المسرح إلى السينما وغير ذلك.

ولا يخفى على أحد ما لذلك من التّأثير على المخاطب كما يستعمل بكثرة في القرآن الكريم.

وها هي سيّدة البلاغة تستعين به حين ترى مسرحية يزيد إذ يلعب بمخصرته ويكمّل نخوته بتصرفاته وسلوكه أهل البيت وبرأس الحسين-عليه السلام-، تخاطبه وتصوّر مشهد عاقبته في القيامة(وهي عاقبة لن يلمسها المخاطب إذ هي مسألة غيبية في مشهد تمثيلي) فتتراءى صورة يزيد في يوم القيامة فيحسّه المتلقي ويشاهد موقفه الحرج أمام الله ورسوله وملائكة في قولها:

«وَلَـتَردنّ على رسول الله بما تحمّلت من سفك دماء ذرّيّته وانتهكت من حرمته في عترته، حيث يجمع الله شملهم ويلمّ شعثهم ويأخذ بحقوقهم... وحسبك بالله حاكماً وبمحمد خصيما وبجرائيل ظهيراً».

وهكذا ترسم الصّورة الحيّة لتكشف النّقاب عن وجه هذا الطّاغية.

٥- أساليب بلاغية أخرى:

كثير من الصّنائع اللّفظية والمعنوية مستعملة في كلام السّيّدة زينب كالجناس والسّجع والمقابلة ومراعاة النّظير كما تستفيد من أدوات التّأكيد وافرا لإبلاغ ما ينكره القوم أو بعضهم أو يشكّكون فيه.

ولكن نرى الاستفادة من بعض الأساليب أكثر من غير ونلمس تركيزها عليها ومن هذه الاستفهام والأمر.

إنّها توظّف الاستفهام، إنكارياً مرّةً وتوبيخيّاً مرّة أخرى وتهكّميّاً في أحيان كثيرة، ولا يكون ذلك إلّا لتأثيره على المخاطب بحيث يجعله في موقف الانفعال والرّجوع إلى الضّمير ويحث في نفسه بلا اختيار البحث عن الإجابة ويشغله في نفسه.

في الواقع الخطيب يقنع المخاطب لا بكلماته الصّريحة بل بإجابات المخاطب الدّاخليّة وباقتناعها النّفسية ولو لم يتفوه بها.

وهذه نماذج مما ذكرنا:

مخاطبة أهل الكوفة: **أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم وأي دم له سفكتم؟!**

ومخاطبة يزيد: أَمِنَ العدل يا ابن الطّلقاء تخديرك نساءك وإماءك وسوقك بنات رسول الله قد هتكت ستورهنّ؟!

أو في مجال آخر: أتقول ليت أشياخي ببدر شهدوا غير متأثم ولا مستعظم؟ كما تستعين السّيّدة بأسلوب الأمر (الصيغة التي تكمن في ذاتها الطّلب من الأعلى إلى

الأسفل ومعلوم بأنّ منزلة الآمر أرقى من المأمور).

وبهذا تلقّن المتلقّي مكانتها وتتكلّم بالعِزّة حتى في الإسارة.

وكثيراً ما يخرج الأمر في تلك المواقف من معناه الأصلي إلى التّنديم والتّوبيخ والتّهكّم كما تخاطب أهل الكوفة: أي والله فابكوا فإنّكم والله أحرى بالبكاء.

أو تواجه يزيد موعدة له: **كِد كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا يرحض عنك عار ما أتيت إلينا أبداً(١٢).**

كما توقفه من الطّغيان والعصيان آمرةً، وتستعمل من أقسام الأمر، الأسلوب والكلمات التي تحمل الثّقل والحدّة والقاطعية كاستعمالها اسم الفعل والتّكرار:

(فمهلاً مهلاً يا ابن الطّلقاء)

كما نرى استعمال السّجع في خطابها -عليها السلام- هذا الأسلوب والفن البلاغي الجميل يضيف جمال خطابها وجلاله إذ أنّه عفوي وخرج من لسان امرأة عقلية بليغة من غير تكلّف وتصنّع حيث تقول:

فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء وأسباط الأنبياء وسليل الأوصياء بأيدي الطّلقاء... فلئن اتخذتنا مغنماً لتجدننا وشيكاً مغرماً(١٣)

وإذا تخاطب ابن زياد بهذه الإجابة:

لقد قتلت كهلي، وأبدت أهلي وقطعت فرعي واجتثت أصلي فإن يشفك هذا فقد اشتفيت...

تهافت غيظ ابن مرجانة وراح يقول:

هذه سجاعة، لعمري لقد كان أبوها سجاعاً شاعراً.

فترد عليه زينب -عليها السلام-

إنّ لي عن السجاعة لشغلاً.

وكما ذكرنا ما كان ما وصل إلينا منها غير حرارة عفوية ورسالة نبوية خرجت على لسان علوي وتكلّم بها زينب -عليها السلام- بنت فاطمة-عليها السلام-.

والطّباق أيضاً من الصّنائع البديعية المستعملة في كلام السيدة -عليها السلام- كما نراها حين تعترض بهتك حرمة حرم رسول الله وسوق بناته -صلى الله عليه وآله- سبايا بهذه العبارات: **أمِنَ العدل يا ابن الطّلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهنّ وأبديت وجوههنّ....**

ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والغائب والشاهد والشّريف والوضيع والدني والرفيع.

كما أنّ الجناس يجعل كلامها سلساً، رائعاً يدخل في السّمع لفظاً ومعنىً وينفذ في القلب شكلاً واحتواءً.

والسّلام عليها سيّدة البلاغة والمثل الأعلى للعزّة والإباء- وقول الحق أمام سلطان جائر..

الهوامش:

(١) سورة الرحمن / الآية ٣

(٢) بحار الأنوار/ الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١)/ الناشر: مؤسسة الوفاء- بيروت -لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٣هـ / ج ٤٥ / ص ٥٨.

(٣) ينظر المصدر نفسه/ ج ٤٥ / ص ٥٨.

(٤) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ١٣٣.

(٥) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ١٣٣.

(٦) المصدر نفسه/ ج ٤٥ / ص ١٣٣

(٧) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ١٥٦.

(٨) المصدر نفسه/ ج ٤٥ / ص ١٣٥.

(٩) المصدر نفسه / ج ٤٥ / ص ١٣٥.

(١٠) سورة ال عمران/ الآية: ١٧٣.

(١١) سورة ابراهيم/ الآية: ٢٥.

(١٢) المجلسي/ المصدر السابق / ج ٤٥ / ص ١٦٠

(١٣) المصدر نفسه / ج٤٥ / ص ١٣٥.

زيارة السيد زينب -عليها السلام-

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وعَجِّلْ فَرَجَهُمْ

اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ سَيِّدِ الأَنْبياءِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ صاحِبِ الْحَوْضِ وَاللِّواءِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ مَنْ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّماءِ وَوَصَلَ إِلَى مَقامِ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ نَبِيِّ الْهُدى وَسَيِّدِ الْوَرى وَمُنْقِذِ الْعِبادِ مِنَ الرَّدى اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ صاحِبِ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالشَّرَفِ الْعَمِيمِ وَالآياتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ صاحِبِ الْمَقامِ الْمَحْمُودِ وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ وَاللِّواءِ الْمَشْهُودِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ مَنْهَجِ دِينِ الإِسْلامِ وَصاحِبِ الْقِبْلَةِ وَالْقُرْآنِ وَعَلَمِ الصِّدْقِ وَالْحَقِّ وَالإِحْسانِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ صَفْوَةِ الأَنْبياءِ وَعَلَمِ الأَتْقِياءِ وَمَشْهُورِ الذِّكْرِ فِي السَّماءِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ خَيْرِ خَلْقِ اللهِ وَسَيِّدِ خَلْقِهِ وَأَوَّلِ الْعَدَدِ قَبْلَ إِيجادِ أَرْضِهِ وَسَماواتِهِ وَآخِرِ الأَبَدِ بَعْدَ فَناءِ الدُّنْيا وَأَهْلُهُ الَّذِي رُوحُهُ نُسْخَةُ اللاَّهُوتِ وَصُورَتُهُ نُسْخَةُ الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ وَقَلْبُهُ خَزانَةُ الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ الْمُظَلَّلِ بِالْغَمامِ سَيِّدِ الْكَوْنَيْنِ وَمَوْلَى الثَّقَلَيْنِ وَشَفِيعِ الأُمَّةِ يَوْمَ الْمَحْشَرِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ سَيِّدِ الأَوْصِياءِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ إِمامِ الأَتْقِياءِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ رُكْنِ الأَوْلِياءِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ عِمادِ الأَصْفِياءِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ يَعْسُوبِ الدِّينِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ قائِدِ الْبَرَرَةِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ قامِعِ الْكَفَرَةِ وَالْفَجَرَةِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ وارِثِ النَّبِيِّينَ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ خَلِيفَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ ضِياءِ الدِّينِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ النَّبَأِ الْعَظِيمِ عَلَى الْيَقِينِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ مَنْ حِسابُ النَّاسِ عَلَيْهِ وَالْكَوْثَرُ فِي يَدَيْهِ وَالنَّصُّ يَوْمَ الْغَدِيرِ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ مَنْ قادَ زِمامَ ناقَتِها جِبْرائِيلُ وَشارَكَها فِي مُصابِها إِسْرافِيلُ

وَغَضِبَ بِسَبَبِها الرَّبُّ الْجَلِيلُ وَبَكى لِمُصابِها إبْراهِيمُ الْخَلِيلُ وَنُوحٌ وَمُوسَى الْكَلِيمْ فِي كَرْبَلاءِ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ الْغَرِيبِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ الْبُدُورِ السَّواطِعِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ الشُّمُوسِ الطَّوالِعِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ زَمْزَمَ وَصَفا اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ مَكَّةَ وَمُنى اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ مَنْ حُمِلَ عَلَى الْبُراقِ فِي الْهَواءِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصى اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ مَنْ ضَرَبَ بِالسَّيْفَيْنِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ مَنْ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ الْمُصْطَفى اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ عَلِيٍّ الْمُرْتَضى اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ فاطِمَةَ الزَّهْراءِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ خَدِيجَةَ الْكُبْرى اَلسَّلامُ عَلَيْكِ وَعَلَى جَدِّكِ مُحَمَّدٍ الْمُخْتارِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ وَعَلَى أَبِيكِ حَيْدَرِ الْكَرَّارِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ وَعَلَى السَّاداتِ الأَطْهارِ الأَخْيارِ وَهُمْ حُجَجُ اللهِ عَلَى الأَقْطارِ ساداتُ الأَرْضِ وَالسَّماءِ مِنْ أَخِيكِ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ الْعَطْشانِ الظَّمْآنِ وَهُوَ أَبُو التِّسْعَةِ الأَطْهارِ وَهُمْ حُجَجُ اللهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالأَرْضِ وَالسَّماءِ الَّذِينَ حُبُّهُمْ فَرْضٌ عَلَى أَعْناقِ كُلِّ الْخَلائِقِ الْمَخْلُوقِينَ لِخالِقِ الْقادِرِ السُّبْحانِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ وَلِيِّ اللهِ الأَعْظَمِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا بِنْتَ وَلِيِّ اللهِ الْمُعَظَّمِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا عَمَّةَ وَلِيِّ اللهِ الْمُكَرَّمِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا أُمَّ الْمَصائِبِ يا زَيْنَبُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

اَلسَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الصِّدِّيقَةُ الْمَرْضِيَّةُ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الْفاضِلَةُ الرَّشِيدَةُ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا التَّقِيَّةُ النَّقِيَّةُ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا مَنْ ظَهَرَتْ مَحَبَّتُهَا لِلْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ فِي مَوارِدَ عَدِيدَةٍ وَتَحَمُّلُ الْمَصائِبَ الْمُحْرِقَةَ لِلْقُلُوبِ مَعَ تَحَمُّلاتٍ شَدِيدَةٍ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا مَنْ حَفِظَتِ الإِمامَ فِي يَوْمِ عاشُورآءَ فِي قَتْلِهِ وَبَذَلَتْ نَفْسَها فِي نَجاةِ زَيْنِ الْعابِدِينَ عليه السَّلام فِي مَجْلِسِ أَشْقَى الأَشْقِياءِ وَنَطَقَتْ كَنُطْقِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلامُ فِي سِكَكِ الْكُوفَةِ وَحَوْلَها كَثِيرٌ مِنَ الأَعْداءِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا مَنْ نَطَحَتْ جَبِينُها بِمُقَدَّمِ الْمَحْمِلِ إذْ رَأَتْ رَأْسَ الشُّهَداءِ وَيَخْرُجُ الدَّمُ مِنْ تَحْتِ قِناعِها وَمِنْ مَحْمِلِها بِحَيْثُ يَرى مِنْ حَوْلَها الأَعْداءُ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا تالِيَ الْمَعْصُومِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا مُمْتَحَنَةُ فِي تَحَمُّلاتِ الْمَصائِبِ كَالْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ وَرَحْمَةُ

اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

اَلسَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الْبَعِيدَةُ الْمُتَحَيِّزَةُ فِي خَرابَةِ الشّامِ اَلسَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُهَا الْمُتَحَيِّرَةُ فِي وُقُوفِكِ عَلَى جَسَدِ سَيِّدِ الشُّهَداءِ وَخاطَبْتِ جَدَّكِ رَسُولَ اللهِ بِهذَا النِّداءِ صَلَّى عَلَيْكَ مَلِيكُ السَّماءِ هذا حُسَيْنٌ بِالْعَراءِ مَسْلُوبُ الْعِمامَةِ وَالرِّداءِ مُقَطَّعُ الْأَعْضاءِ وَبَناتُكَ سَبايا وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكى وَقالَتْ يا مُحَمَّدُ صلّى الله عليه وآله وسلّم هذا حُسَيْنٌ تُسْفِي عَلَيْهِ رِيحُ الصَّبا مَجْذُوذُ الرَّأْسِ مِنَ الْقَفى قَتِيلُ أَوْلادِ الْبَغايا وا حُزْناهُ عَلَيْكَ يا أَبَا عَبْدِ اللهِ اَلسَّلامُ عَلَى مَنْ تَهَيَّجَ قَلْبُها لِلْحُسَيْنِ الْمَظْلُومِ الْعُرْيانِ الْمَطْرُوحِ عَلَى الثَّرى وَقالَتْ بِصَوْتٍ حَزِينٍ بِأَبِي مَنْ نَفْسِي لَهُ الْفِداءِ بِأَبِي الْمَهْمُومِ حَتّى قَضى بِأَبِي الْعَطْشانِ حَتّى مَضى بِأَبِي مَنْ شَيْبَتُهُ تَقْطُرُ بِالدِّماءِ اَلسَّلامُ عَلَى مَنْ بَكَتْ عَلَى جَسَدِ أَخِيها بَيْنَ الْقَتْلى حَتّى بَكَى لِبُكائِها كُلُّ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ وَرَأَى النّاسُ دُمُوعَ الْخَيْلِ تَنْحَدِرُ عَلَى حَوافِرِها عَلَى التَّحْقِيقِ اَلسَّلامُ عَلَى مَنْ تَكَلَّفَتْ وَاجْتَمَعَتْ فِي عَصْرِ عاشُوراءَ بَناتِ رَسُولِ اللهِ وَأَطْفالِ الْحُسَيْنِ وَقامَتْ لَها الْقِيامَةُ فِي شَهادَةِ الطِّفْلَيْنِ الْغَرِيبَيْنِ الْمَظْلُومَيْنِ اَلسَّلامُ عَلَى مَنْ لَمْ تَنَمْ عَيْنُها لِأَجْلِ حَراسَةِ آلِ اللهِ فِي طَفِّ نَيْنَوى وَسارَتْ أَسِيراً ذَلِيلاً بِيَدِ الْأَعْداءِ اَلسَّلامُ عَلَى مَنْ رَكِبَتْ بَعِيراً غَيْرَ وَطاءٍ وَنادَتْ أَخِيها أَبَا الْفَضْلِ بِهذَا النِّداءِ أَخِي أَبَا الْفَضْلُ أَنْتَ الَّذِي رَكَّبْتَنِي إِذا أَرَدْتُ الْخُرُوجَ مِنَ الْمَدِينَةِ اَلسَّلامُ عَلَى مَنْ خَطَبَتْ فِي مَيَدانِ الْكُوفَةِ بُخُطْبَةٍ نافِعَةٍ حَتّى سَكَنَتِ الْأَصْواتُ مِنْ كُلِّ ناحِيَةٍ اَلسَّلامُ عَلَى مَنِ احْتَجَّتْ فِي مَجْلِسِ ابْنِ زِيادٍ بِاحْتِجاجاتٍ وَاضِحَةٍ وَقالَتْ فِي جَوابِهِ بِبَيِّناتٍ صادِقَةٍ إِذْ قالَ ابْنُ زِيادٍ لِزَيْنَبَ سَلامُ اللهِ عَلَيْها كَيْفَ رَأَيْتِ صُنْعَ اللهِ بِأَخِيكِ الْحُسَيْنِ قالَتْ ما رَأَيْتُ إِلاَّ جَمِيلاً اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا أَسِيراً بِيَدِي الْأَعْداءِ فِي الْفَلَواتِ وَرَأَيْتِ أَهْلَ الشّامِ فِي حالَةِ الْعَيْشِ وَالسُّرُورِ وَنَشْرِ الرّاياتِ اَلسَّلامُ عَلَى مَنْ شُدَّ الْحَبْلُ عَلَى عَضُدِها وَعُنُقِ الْإِمامِ زَيْنِ الْعابِدِينَ وَأَدْخَلُوها مَعَ سِتَّةَ عَشَرَ نَفَرٍ مِنْ آلِ رَسُولِ اللهِ وَهُمْ كَالْأُسَراءِ مُقَرَّنِينَ بِالْحَدِيدِ مَظْلُومِينَ.

وَقالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السَّلام لِيَزِيدُ: يا يَزِيدُ ما ظَنُّكَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَآلِه لَوْ رآنا عَلَى هذِهِ الْحالَةِ.

ثُمَّ قالَتْ أُمُّ الْمَصائِبِ زَيْنَبُ لَهُ: قائِلاً (فَأَهَلُّوا وَاسْتَهَلُّوا فَرَحاً) (ثُمَّ قالُوا يا يَزيدُ لا تَشَلْ) مُتَنَحِّياً عَلَى ثَنايا أَبي عَبْدِ اللهِ سَيِّدِ شَبابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ تَنْكُتُها بِمَخْصَرَتِكَ ثُمَّ قالَتْ: وَلَئِنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّواهِي مُخاطَبَتُكَ وَإِنِّي لأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ وَأَسْتَعْظِمُ تَقْريعَكَ وَأَسْتَكْبِرُ تَوْبيخَكَ لكِنَّ الْعُيُونَ عَبْرى وَالصُّدُورَ حَرّى أَلا فَالْعَجَبُ كُلّ الْعَجَبِ مِن إِقْدامِكَ لِقَتْلِ حِزْبِ اللهِ النُّجَباءِ بِحِزْبِ الشَّيْطانِ الطُّلَقاءِ وَلَئِن اتَّخَذْتَنا مَغْنَماً لَتَجِدَنّا وَشيكاً مَغْرَماً حينَ لا تَجِدُ إِلاَّ ما قَدَّمَتْ يَداكَ وَما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبيدِ وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكى وَعَلَيْهِ الْمُعَوَّلُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخاءِ فَكِدْ كَيْدَكَ وَأَسْعَ سَعْيَكَ وَناصِبْ جَهْدَكَ فَوَاللهِ لا تَمْحُو ذِكْرَنا وَلا تُميتُ وَحْيَنا وَلا تُدْرِكُ أَمَدَنا وَلا تُدْحَضُ عَنْكَ عارَها وَمَا رَأْيُكَ إِلاّ فَنَداً وَأَيّامُكَ إِلاَّ عَدَداً وَجَمْعُكَ إِلاَّ بَدَداً يا يَزيدُ أَما سَمِعْتَ قَوْلَ اللهِ تَعالى: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلُوا فِي سَبيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) وَحَسْبُكَ بِاللهِ حاكِماً وَبِمُحَمَّدٍ خَصْماً وَبِجَبْريلَ عَدُوّاً.

ثُمَّ قالَتْ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي خَتَمَ لأَوَّلِنا بِالسَّعادَةِ وَالْمَغْفِرَةِ وَلآخِرِنا بِالشَّهادَةِ وَالرَّحْمَةِ إِنَّهُ رَحيمٌ وَدُودٌ وَهُوَ حَسْبُنا وَنِعْمَ الْوَكيلُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطّاهِرينَ الأَئِمَّةِ الْمَعْصُومينَ آمينَ يا رَبَّ الْعالَمينَ.

يا ثارات الحسين

خواطر الثناء على بطلة كربلاء

الشيخ أحمد رشيد منذر الفوعي

يا من ببيتِ الهدي والوحي منشاكِ ... حي الإلـــه بحي الشام مثـواكِ
فالشـــمسُ تشهدُ والأفـلاكُ أجمعها ... أن ليس للشمسِ شيءٌ من مزاياكِ
كلا ولا للنجومِ الزهرِ مثل ســنا ... أقـمارِكِ الغـرُ أو عليـا كعليـاكِ
والبـدرُ مـا نـال نـوراً نلتهِ أبداً ... كـلا ولا القبة الخضـرا ثريـاكِ
أنـتِ التـي حـزتِ نـوراً في حقيقتهِ ... يعـلو على نـورِ أقمـارِ وأفـلاكِ
بـــراكِ ربـــكِ مـن أزكـى بريتـهِ ... من معشرٍ طـهروا من كل أشراكِ
من شيبةِ الحمدِ من عمرو العلا وكفى ... شـيخُ الأباطـحِ والمختـارِ جـداكِ
والـوالـدُ المرتضى الكـــرار حيدرة ... والأمُ فاطـمُ والسـبطانِ صـنواكِ
مـن ذا يحاكيكِ في مجـدٍ وفي شرفٍ ... والليثُ حـمزةُ والطـيارُ عمـاكِ
لو كنتِ يوماً كساءَ الأهـل حاضرةٌ ... كـان الكسـاءُ بذاك اليـوم غطاكِ
لا تعجبِ الشامَ إن أضحت بحج لها ... فالشـام قد جهلـت من قبلُ معنـاكِ
لو تعلم الشـامُ من كانت أسيرتهـا ... ظـلت تقبـلُ ما يعـلوهُ نعـلاكِ
يكـفيكِ حيـن يـرى البـاري خليقته ... من نـورِ أحمدَ والكرارِ صفـاكِ
والأمُ غذتـكِ من أخـلاقِ أحمـدها ... والـرّوح في مهدك المكنون ناغاكِ
لو مثل الفخـر بين النـاس مكتمـلاً ... في كـربلاء وفيهـا الصّـبرُ حياكِ
جثتِ الطّـفوف ونلت الخـير أجمعـه ... من كـل ناحيـة ما كـــان إلّاكِ
فـي محنـةِ أنبيـاءِ الله ما شـــهدوا ... مثلاً لها لا ولا في الصبرِ شرواكِ
يومَ الحسـين الذي أبكـى السّـماءَ دماً ... والدينَ حزناً وذابت فيـه أحشـاكِ
واجهتِ ذاك المصابَ الإد في شرف ... من أحـمدَ وعلي حـينَ وافـاكِ
كـنتِ الخـليفةَ للسـبطِ الشهيدِ على ... حفظِ العيالِ وسيما السبطِ سيماكِ
لم يثنكِ الخطبُ عن نشرِ الهدى أبداً ... في كـــلِ منقبـةٍ مثلتِ آبـــاكِ

من بعد سبعينَ من قتلاكِ قد ذبحوا ... ذبحَ الكباشِ على الغبرا بمرآكِ

ما بين صارخةٍ ولهى، مدلهة ... ثكلى وبينَ عليلٍ ظامئٍ شاكي

لم تذهلي عن جهادِ القومِ في حسبٍ ... دكّ العروشَ وأخزى كل سفاكِ

جردتِ من سؤددِ الآباءِ بيض علا ... وفي مأثرها جاهدتِ أعداكِ

في علمِ أحمدَ في إيمانِ حيدرةٍ ... في حزمِ عبد منافِ السيدِ الزّاكي

في صبرِ فاطمَ والسبطينِ في حكمٍ ... أوتيتها بينَ أبطالٍ ونساكِ

فوقَ النياقِ فضحتِ القوم كلهم ... بما جنوهُ وباتَ الجيشُ يخشاكِ

وكل طاغيةٍ القمتهِ حجراً ... عند التفاخر لما انطقوا فاكِ

ذكرتهم بعلي في بلاغتهِ ... لما عليهم بها أعلنتِ هيجاكِ

نكستِ أعلامهم من بعد ما رفعوا ... فوقَ الرّماحِ رؤوس الصّيدِ قتلاكِ

ظنوا بأنّهم أرسوا عروشهم ... يومَ الطّفوفِ فكانوا شرَ هلاكِ

أرسلتِ ريحاً عقيماً فوقَ أربعهم ... ما هبَ صرصرها في القومِ لولاكِ

رغمَ الطّغاةِ ورغماً عن مبادئهم ... قد حالفَ النّصرُ مبدا الحقِ مبداكِ

لا زلتِ داعية للدينِ ثائرةً ... ضد البغاةِ وعينُ اللهِ ترعاكِ

لا غروَ منكِ ولا مستغرباً أبداً ... إن شعَ نور الهدى من ثغركِ الباكي

أنتم محكَ بني حواءَ قاطبةً ... والفرقُ بينَ إيمان وإشراكِ

من أهلِ بيتٍ هم للخلقِ محنتهُ ... والمبتلونَ بدجالٍ وأفّاكِ

حاكيتهم أبداً في كل ما امتحنوا ... لكنّهم لم يذوقوا مثلَ بلواكِ

قد كنتِ خيرَ حديثٍ في الأنامِ فلا ... فخرٌ كفخركِ أو ذكرى كذكراكِ

إذا المفاخرُ عدّت كنتِ سؤددها ... طوبى لمن يا ابنةَ الزّهراءِ والاكِ

ما حاز سؤددكِ الوضاحَ ذو شرفٍ ... ولا رقى أحدٌ في المجدِ مرقاكِ

والـوحيُ أولاكِ فـخراً لا يـرامُ وما ... كِ في مجـدكِ الـسّامي وأسـماكِ
لـكِ الحمى من بيـوتٍ شـاءَ خالقها ... تغـدو مهـابطُ أبـدالٍ وأمـلاكِ
طـوبى لمـن زاره في الـنـاسِ معترفاً ... بالشّأنِ مـالكِ عندَ اللهِ مـولاكِ
أنـت الـوسيـلةُ في يـومِ المـعـادِ فلا ... ينجـو سوى من أنه وِدٌّ لقربـاكِ
أسـتودع الله عهـداً أنني لكـمُ ... عـبدٌ وليٌّ يعـادي كلَ أعـداكِ
كـوني على عـهدِ هـذا العبد شـاهـدةٌ ... يـوم المعـادِ فـإنّ الله زكّـاكِ
ثم الصـلاة عليكـم دائمـاً أبـداً ... يا آل بيتِ الإلـهِ الطّاهرِ الزّاكي

مَا رَأَيْتُ إِلَّا جَمِيلًا

السلام عليك يا